

جامعة بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

البعد الملحمي في شعر صالح خرفي "ديوان أطلس المعجزات"

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

من إعداد الطالبتين: تحت إشراف الأستاذ:

ثابتي فريد

كريمة بن حليلة

شهرزاد بن خلاط

السنة الجامعية: 2015/2014

شكر و تقدير

نتقدم بجزيل الشكر و الامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور

"فريد ثابتي" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و

تشجيعاته و إرشاداته القيمة لنا ، فنسأل الله عز و جل أن يجازيه

جزاء حسنا على حسن صنيعه .

وإلى كل الذين قدموا لنا يد المساعدة سواء من قريب

أو بعيد.

الإهداء

إلى من زرع في قلبي حب الحياة وكان مثلي الأعلى الغالي.

إلى من حملتني وهنا على وهن وسعدت لسعادتي وحزنت لحزني والدتي
العزيزة.

إلى من كانوا شركاء في حزن أمي الدافئ أخواتي :صونية ، منال
زهرة، وأخي الحبيب سلاس.

إلى أعمامي و عماتي و أولادهم.

إلى جدتي و جدي و خالاتي و أخوالي.

إلى من عرفت معهن معنى الأخوة و الصداقة الحقيقية بنات أعمامي و
صداقاتي و أصدقائي.

إلى زميلتي في العمل كريمة بن حليلة.

إلى الأستاذ المشرف الدكتور ثابتي فريد.

إلى كل من شجعوني في إنجاز هذا العمل المتواضع.

شهرزاد

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أعز و أغلى ما أملك

أبي العزيز و أمي الحبيبة، اللذان شجعاني طوال

مشواري الدراسي .

و إلى الغالي و العزيز إلى قلبي زوجي حنفي الذي ساعدني في

إنجاز هذا البحث، و الذي ساندني و شجعني طوال مسيرة

الدراسة.

كما أهديه إلى إخوتي عبد المؤمن و زوجته صونية ، حمزة ، و

هاني.

إلى زميلة و رفيقة في العمل بن خلاط شهرزاد

إلى أعز صديقاتي لعكري، منيرة، فدية.

كريمة

مقدمة

لقد كانت الملاحم اليونانية القديمة ولازالت مصدر إلهام للأدباء والشعراء والمسرحيين والفنانين ، التي تصوّر حياة الإنسان بأفراحها و أحزانها ، و ترسم لنا صورة حية للكثير من العادات و التقاليد التي كانت سائدة في تلك الأزمنة ، وتعيد إلى أذهاننا العديد من الملاحم العربية التي تستحق اهتماما أكبر.

وإن كانت الجزائر غنية بمناجمها الطبيعية، و ما أنعم الله به عليها من خيرات وأفاضه من جمال، فهي كذلك ثرية بالمتقنين الذين لا ينضبون أمثال الشاعر صالح خرفي.

فموضوع بحثنا يدور حول البعد الملحمي في شعر صالح خرفي ديوان "أطلس

المعجزات" ، وسبب اختيارنا لهذا الموضوع لأن هذا الديوان يتميز بجملة من الخصائص التي تؤهله لأن يكون مجالا لتطبيق البعد الملحمي عليه، أما اختيارنا لشاعر صالح خرفي فذلك بسبب قيمة شعره الفنية و غزارة إنتاجه الشعري ، وكذلك بسبب قلة وجود دراسات أكاديمية لشعره، كما أن شعره يتضمن موقفه الوطني و حسه التاريخي ووعيه إزاء قضايا عصره و مشكلاته.

وقد صغنا إشكالية بحثنا كالتالي :

* إلى أي مدى تجلّى البعد الملحمي في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي ؟

وهل يمكن اعتبار الشاعر صالح خرفي شاعرا ملحميا؟

وذلك بإتباع منهج التحليل و المقارنة ، حيث حاولنا تحليله و ذلك بحثا عن ملامح الملحمة فيه ، كما قمنا بمقارنته بالملاحم القديمة عند اليونان و الشعر البطولي عند العرب.

فأنجزنا هذا البحث في ثلاثة فصول حيث تناولنا في الفصل الأول تعريف الملحمة و أنواعها وخصائصها، ثم تطرقنا إلى تاريخ الملحمة عند اليونان. أما في الفصل الثاني دارسنا فيه الشعر البطولي عند العرب ، حيث اعتمدنا على ثلاثة نماذج و هي : سيرة عنتره وعمر بن كلثوم ، كما قمنا بدراسة ديوان الحماسة لأبي تمام.

أما الفصل الثالث والأخير فهو فصل تطبيقي حيث حاولنا فيه البحث عن ملامح و أبعاد الملحمة في ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي. و اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها : "تاريخ الأدب اليوناني" لدكتور محمد صقر خفاجة، و"الشعر الإغريقي" لأحمد عثمان ، "رجال المعلقات العشر " لمصطفى الغلايين، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين" ليوسف بن سليمان، "الشعر والشعرية في العصر العباسي" لسوزان بينكيستيكيفتش، و"ديوان أطلس المعجزات لصالح خرفي . لكن واجهتنا صعوبات كثيرة و متعددة منها نقص المادة العلمية و صعوبة الحصول على بعض المراجع، وكذلك نقص الدراسات الأكاديمية حول شعر صالح خرفي.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف ونأمل أن يكون هذا البحث

في خدمة البحث العلمي ولو بقدر قليل، وأن يكون في خدمة كل من أراد التعمق في هذا

المجال.

الفصل الأول

الفصل الأول : ماهية الملحمة

(1) تعريف الملحمة

(2) أنواع الملاحم

(3) خصائص الملحمة

(4) تاريخ الملحمة

1 - تعريف الملحمة:

"هي عبارة عن قصة شعرية بطولية قومية، تقوم على خوارق و العادات و الأمور. وتخلط فيها الحقائق بالأساطير، وتغلل القصائد الدينية و الروحية في جوانبها. فالملحمة تمثل الجوانب القومية، بما تحويه من عناصر هامة في حياة الشعوب من حيث الجوانب الدينية، والفكرية والاجتماعية، كما تمثل الأنظمة السياسية، الاقتصادية والحربية، وما تحويه من تصوير الجهاد و قوى للشعب، و إبراز العناصر البطولية لدى زعمائه"¹.

التعريف الثاني: "هي القصيدة القصصية الطويلة التي تحكي أعمال البطولة، التي تصدر في العادة عن بطل رئيسي واحد. والتي كثيرا ما يكون لها مغزى قومي واضح، بينما تستخدم كلمة ملحمة للإشارة إلى كل ما هو بطولي ويتجاوز قدرات البشر، و يجمع بين الروعة العظمة و الجلال"².

ومن هذه الناحية فإنه يمكن القول "إن الملاحم كانت دائما و منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الأعمال الرائعة، التي تداعب مخيلة الشعوب المختلفة، وتعبر عن آمالها بصرف النظر عن مستواها الثقافي"³.

¹ جميل صدقي الزهاوي، ملحمة ثورة الجحيم، ع12، السنة 3، ص24.

² "epic" in cassell's encyclopaedia of literature ,vol cassell ,London 1953 p193.

منقول من : عالم الفكر ، مج16، ع1، الكويت ، أبريل، مايو، 1980، ص3.

³ نفس المرجع ص3.

ومن خلال هذين التعريفين يمكن التصريح: بأن الملحمة هي حكاية بطولية تخبر عن حركة جماعات أو حركة الشعوب، و القبائل، و هي نموذج إنساني يحتذى به، يفعل بحياته و سلوكه ما يمكن أن يطمح المرء لتحقيقه. قد تحتوي الملحمة على أساطير فتدخل الأسطورة في نسيج الملحمة، لكن لا تتداخل الملحمة في الأسطورة، فالمحمة شيء آخر حيث أن الفرق الجوهرى بين الأسطورة و الملحمة هو أن أبطال الأسطورة من آلهة، أما أبطال الملحمة فهم من البشر.

(2) أنواع الملاحم :

يبدو أن الشعوب الحية حريصة على تخليد مراحل من حياتها ، تصوغها ملاحم أو سيرا شعبية أو أدبية رسمية تنتقلها الأجيال جيلا بعد جيل ، و يرويها الكبار للصغار لتبقى كالوشم في الذاكرة ، و تختلف هذه الملاحم في أحداثها و صورها و خيالها من أمة إلى أمة و لكنها تتفق في أمر واحد هو تصوير البطولة و تمجيدها ، و هي أنواع :

(1) الملحمة الدينية : هي ملحمة تتسم بسمة دينية و تمثلها ملحمة الكوميديا الإلاهية لدانتي الذي تناول موضوع الإنسان بما فيه من فضائل و رذائل، بوصفه خاضعا للعدل الإلاهى ولكن دانتي اقتفى أثر فرجيل في الإنيادة ،وذلك عندما تحدث عن الصلة بالعالم الآخر، و مع ذلك فإن لدانتي أصالته في الصور الفنية، وفي وصفه لعصره في الرمزية التي لجأ إليها تأثر دانتي بقصة الإسراء.

و يؤكد بعض الباحثين من الغربيين تأثر دانتي الإيطالي في ملحمة الكوميديا الإلاهية بحادثة الإسراء و المعراج التي وقعت للرسول (صلى الله عليه وسلم) في التراث الإسلامي وذلك عن طريق إطلاعه لقصة الإسراء والمعراج للرسول (صلى الله عليه و سلم)، ففي ملحمة دانتي حديث عن الملائكة الذين كانوا يشرحون للرسول (صلى الله عليه وسلم) في رحلته السماوية ما يراه وما يريد تفسيراً له، وكذلك فإن دانتي يذكر في ملحمة الدينية حديثاً عن رؤية الله سبحانه وتعالى ،وأنها حدثت في السماء الثامنة حيث يوجد العرش، ويصف فيها ما بهر به من الألوان والأنوار والجوانب الروحية مما يعد أخذاً مباشراً من قصة المعراج في التراث الإسلامي .

وإلى جانب الكوميديا الإلاهية نجد "ملحمة الفردوس المفقود التي تصوّر خروج آدم من الجنة بعد إغراء الشيطان له"¹. و كما نجد أيضاً "رسالة الغفران كتبها أبو العلاء المعري و هي الرد على رسالة بعث بها ابن القارح إليه ، و فيها نجد أبا العلاء يطوف بمصاحبة في أرجاء العالم الآخر في رحلة خيالية ممتعة"².

¹ جميل صدقى الزهاوي، ملحمة ثورة الجحيم، ص26.

² نفس المرجع ، ص 26.

2) الملحمة الشعبية : هي ملحمة نابغة من طرف الشعب بصورة تلقائية "والهدف منها هو الاقتراب من الحس الشعبي الذي يختلف كثيرا أو قليلا عن حس الآباء و المثقفين الذين يصوغون رؤاهم بكثير من الأحيان وهم بعيدون عن حاجات الشعب و اتجاهاته"¹.

ومنه فالجماهير لها حس صادق يعبر عن قلقها و طموحاتها و خير دليل ما تسخر به آدابها أو ذكارتها من أمثال شعبية، وما تفيض به رواياتها التي لا تنتسب إلى مؤلف محدد، بل تشترك مجتمعات غير محددة في تكوينها وصياغتها، ولذلك نرى أن السيرة الواحدة ذات روايات متعددة مثل إلياذة هوميروس. فظهر رواة منشدون ينتقلون من مكان إلى مكان، فيروون للناس صور البطولة التي شاهدتها هذه الأحداث فيثيرون حماسهم.

فأصبح الإنسان يؤمن بأنه هو وحده صانع المعجزات، والشعوب هي التي تصنع التاريخ العظيم، لهذا أصبحت بطولات الشعوب مواضع للملاحم الشعبية، وهي ليست بطولات خارقة بل هي من صنع الواقع مثل سيرة عنترة .

3) الملحمة البطولية: "البطولة قيمة عالية في التراث الشعبي، و لعلها قيمة إنسانية تهفو إليها النفس البشرية على مر العصور، وهي عماد أساسي في الملاحم البطولية و السير الشعبية وهي نابغة من الشعور واللاشعور الجمعي المرتبطين بحركة الكون والحياة، و لعلها تركز على دافعين متلازمين : دافع الخوف من شر متوقع و دافع الجرأة في تحقيق فعل يبطل الشر ويجلب الخير، فالبطل قادر على اجتياز العقبات التي تعترض سبيل

¹ مصطفى جطل ، الملاحم الشعبية أصالة الماضي و اعتزاز الحاضر و المستقبل ، ص1.

الجماعة ولا تجد خلاصا منها ،لأنها تحتاج إلى أمر معجز فوق قدرات الإنسان العادي و طاقاته"¹.

ومن هنا كانت قدرات البطل خيالية يختلط فيها الواقع بغير الواقع، والتاريخي بالكوني والمحدود بغير المحدود،وقد كَوّن هذه القدرات حس جماعي يتفوق فيه الإيمان والأمل بالمستقبل على الإحساس بعبثية الحياة و مأساة الإنسان،و لهذا فالبطل يتصف بمجموعة من الصفات التي تؤهله ليكون ممثلا للجماعة و لقيمها الدينية والدينية،و معبرا عن آمالها فهو حر من كل القيود الاجتماعية البالية التي تكبل الجماعة،وهو شجاع وشجاعته تتميز بالخصوصية ،إذ تتجمع في شخصيته شجاعة الجماعة كلها .

ويستمد هذه الشجاعة من القوة الإلهية المتدفقة، فلا يصمد أمام شجاعته إلا قيم إنسانية أبدية هي قيم الحق و الخير و العدل .

"ويكُون هذه البطولة عناد بشري لا يعرف اليأس و لا التردد، و البطل يتعرض للصعاب فيتغلب عليها و ينتصر، فهو و النصر حليفان يقهران قوى العدوان.

فهذا البطل يصفه الشعب الذي يخلع عليه الصورة الكلية للإنسان، فيجتمع في كيانه الفرد و المجتمع و الكون، و هو مطالب بالتغيير، تغيير الحياة أو تغيير سلبيات الحياة، و لهذا يصبح رمزا لوجود الجماعة"¹.

¹ مصطفى جطل ،الملاحم الشعبية أصالة الماضي و اعتزاز الحاضر و المستقبل ،ص3.

ومن خلال هذه البطولة يشعر الإنسان العادي بقدرة فائقة تأبى الاستسلام، و قوة تدفق لتحقيق المعجزات التي تشبه المعجزات التي يحققها البطل.

وأفضل مثال على البطولة نجد عنتره العبسي كما تصوره السيرة، فهو رمز البطولة تجمعت فيه كل هذه المعاني فولادته وطفولته و فنونه وشبابه ،وحبه و فروسيته و حروبه و رحلاته واتصالاته بملوك العرب والعجم من فرس و بيزنطيين و حبشيين، كل ذلك يتسم بكل المعاني التي ذكرناها .و البطولة كالعبرية فيها أمور خارجة على التفسير العقلي المنطقي ، و كذلك كانت بطولة عنتره التي صاغها الخيال الشعبي .

¹ مصطفى جطل ، الملاح الشعبية أصالة الماضي و اعتزاز الحاضر و المستقبل ،ص3.

(3) خصائص الملحمة:

(1) طابع البطولة: هو العنصر الأساسي المميز للملاحم أو لمعظمها على الأقل، والعامل المشترك و المستمر في اغلبها، رغم فوارق الزمن والمكان " و هذا الطابع البطولي يشير إلى أن الإنسان يعني في آخر الأمر بأشياء، و أمور أخرى غير مجرد رفاهيته المادية ، وانه على استعداد لأن يضحي براحته وسلامته، بل بحياته ذاتها من اجلها، وهذه الأمور تتراوح من المجد الشخصي إلى تحمل مسؤولية توفير الأمن والسعادة المادية، والروحانية للجماعة التي ينتمي إليها البطل سواء أكانت هذه الجماعة هي الوحدة القبلية الصغيرة، أم الأمة أو حتى الجنس البشري ككل¹. فمثلا في " الملاحم الهوميرية نجد الشاعر لا يتغنى فقط بأمجاد الرجال ، بل بأفعال الآلهة أيضا، فهذان عنصران متلازمان تعمل كل من فئة الآلهة والرجال بالتعاون، مع الأخرى بل تعمل الواحدة منهما على كشف النقاب، عن الخصائص الجوهرية للأخرى من زوايا مختلفة ومتعددة ، بحيث تتضح لنا صورتيهما معا على نحو متكامل في النهاية"². ومن هذا يبدو البطل الهوميري إلى جانب القدرة الحربية يتمتع بصفات أخرى مثل الكرم، وحسن المعاشرة، والإخلاص، أما شهيته للمتعة بالحياة و لذاتها من طعام و شراب و نساء، فهي توازي و تساوي حبه للحرب و النزال. كما أن الملاحم تكرم جيل الأبطال القدامى، وتتصف هذه الشخصيات خاصة الأبطال بالقوة و المهارة في استعمال

¹ ibid-loc من يوسف الرومي ، عالم الفكر ، مج16 ، العدد 1، الكويت ، ابريل ، مايو ، يونيو1980، ص4.

² احمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، ص48.

السلاح كما تتمتع بالقدرة الهائلة على تحمل الأهوال و المصاعب، وهذا ما يظهر خاصة في الحروب التي تعد امتحانا حقيقيا لقدرات البطل الذهنية و الجسدية، و على العموم فأبطال الملاحم ليسوا بشرا عاديين تماما كما أنهم ليسوا آلهة ، و لكنهم يتحركون في المنطقة الوسطى الواقعة بين الآدمية و الألوهية ، و هم يميلون إلى هذا الجانب حيناً ، و يتعدون عنه إلى الجانب الآخر أحيانا أخرى، دون أن يعقدوا صلتهم تماما بهذا الجانب أو ذاك .

(2) التنوع الهائل و التشعب في الموضوعات: "بحيث نجد الأحداث و الوقائع الحقيقية جنب إلى جنب مع الأسطورة ، والحكاية الخرافية والقصص والراويات المتعلقة بأعمال البطولة، والتي لا تخلو من المبالغة والتوهيل، وذلك فضلا عن بعض القصص ذات الطابع الديني مع الإشارة إلى بعض العادات والتقاليد ،بل بعض الآراء ،والخطرات الفلسفية، والأخلاقية وغير ذلك كثير"¹. ولكن هذا لا يعني أن الملحمة التي تعرض كل هذه الأمور تتقصها وحدة الموضوع ، أو تقتصر إلى نقطة محورية تدور حولها كل الأحداث .ففي كل ملحمة من الملاحم الكبرى حدث رئيسي بسيط يمكن تلخيصه بعبارة واحدة.

(3) وحدة الموضوع: تتميز الملحمة بالتنوع و التشعب في الموضوعات، التي تتعرض لها حيث نجد الأحداث الحقيقية جنبا إلى جنب مع الأسطورة و الحكاية الخرافية، و قصص البطولة التي لا تخلو من المبالغة و التوهيل، فضلا عن القصص ذات الطابع الديني. ففي كل ملحمة من الملاحم الكبرى حدث ملحمي بسيط يمكن تلخيصه في عبارة واحدة ، و لكن

¹ حمد يوسف الرومي، عالم الفكر، منقول من احمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا، ص7.

الشاعر ينطلق إلى مجالات أخرى واسعة و متنوعة ، مما يضفي على ذلك الحدث كثيرا من الغنى و الثراء و العمق .فالحدث الملحمي في الإلياذة هو غضب اخيلليوس لمقتل صديقه باترو كلوس في حرب طروادة و رغبته في الانتقام له .أما الأوديسة فالحدث الملحمي فيها هو الرجل اوديسيوس و رحلته لاسترجاع زوجته ، و لذا فإن أول كلمة في الإلياذة هي "الغضب" إذ يبدأ هوميروس * ملحمته بالإشارة إلى هذا الغضب بقوله في البيت الأول "غني أيتها الربة غضبة اخيلليوس بن بيليوس المدمرة ".كما أن أول كلمة في الأوديسة هي الرجل حيث يقول الشاعر في البيت الأول "غني يا ربة الشعر عن الرجل الرحالة الذي هام يجوب في الأفاق بعد أن دمر طروادة المقدسة"¹ .

وكان الملحمة هنا تكتسب روعتها وعظمتها وجلالها من نفس الفكرة التي تدور حولها، ومن طريقة عرض أو تنفيذ هذه الفكرة ،بحيث تتم معالجتهما و التعبير عنهما في آلاف الأبيات من الشعر القوي الرصين الذي يكشف عن القدرات الإبداعية التي يتمتع بها الشاعر .

¹ احمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا، ص 35.

* شاعر اسمه هوميرو و يعني اسمه هذا الرهينة أو الأعمى الذي لا يبصر ، و هو منحوت أبدعه الخيال الأسطوري كما يعتبر ينبوع الأدب الإغريقي الذي انبثق جارفا من قمة عالية فسالت منه الأنهار و نهل منه كل من جاء بعده في الأدب الإغريقي و الروماني ثمالأوروبي و العالمي ، حتى صارت أشعاره بمثابة كتابات مقدسة توجز جوهر المعرفة الإنسانية و تجسد تفوق الإنسان .

نستنتج أن الإلياذة و الأوديسة تتشابهان. أما "الفروق التي تكمن في هاتين الملحمتين فهي أن الإلياذة قصة حرب، بينما الأوديسة تدور حول السلم، و يترتب على ذلك أن البنيان الاجتماعي في كل منهما يختلف عن الآخر. و كذا الجو العام في الإلياذة التي تقوم على وصف المعارك لا تتمتع بتنوع الألوان المميزة للأوديسة، أما هذه الأخيرة فتحكي قصة مترابطة و متسلسلة، و تتميز بأنها عنصر الحكايات الشعبية الذي لا نصادفه كثيرا في الإلياذة"¹. و من خلال هذا الاختلاف بين الإلياذة و الأوديسة في جوهرهما العام، دليل على تمتع كل منهما بما نسميه وحدة الموضوع. و تميزه عن أي موضوع آخر، بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إن قلنا أن الأدب الحديثة كلها لازالت تتبع هذا النموذج الهومييري، و هي تتعامل مع التراث الموروث على الماضي البعيد. إذ ماهي الفائدة المرجوة من إحياء التراث إن لم يكن يهدف إلى خدمة الحاضر و تصوير أحواله، و تسليط الضوء على آلامه و آماله.

(4) الطابع القصصي : إن الأساس في الشعر الملحمي أن يكون قصصي يعني يسرد حادثه أو سلسلة حوادث و الوقائع بشكل إخباري ، و تتميز القصيدة الملحمية بالاندفاع والتدفق الهائل في سرد القصة ، ما يدل على وجود عقل بارع و خلاق يصور العمل كوحدة كلية متكاملة، ويوجه الأجزاء بطريقة دقيقة محكمة باستخدام تشبيهات ومحسنات لفظية وأوصاف تساعد على توضيح الفكرة و تعميقها.

¹ احمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا، ص35.

"وما يميز القصيدة الملحمية في هذا الصدد هو ذلك الاندفاع أو التدفق الهائل في سرد القصة بحيث يسيطر ذلك التدفق على كل ما عداه ، بالإضافة إلى المعنى المتضمن في كل جزء من أجزائه و الذي يدل على وجود عقل بارع و خلاق يتصور العمل كوحدة كلية متكاملة"¹. و نجد أن الراوي أو المنشد الذي يروي الملحمة أو ينشدها أو يتغنى بها يساعده هو أيضا بما يدخله من تعديلات على النص لتعميق الفكرة ، وخصوصا في الملحمة الشفوية غير المدونة بما كان بداخله من تغيير وتبديل . و يشير الدكتور احمد عثمان بقوله "لم يكن عمل المنشد مجرد إعادة إخراج النص المحفوظ عن ظهر قلب و إنما كان بمثابة إعادة خلق لقصة معروفة في صفة مألوفة و معددة خصيصا لمناسبة معينة"². فهذا يدل على أن عمل المنشد الملحمي يشبه عمل المصور الذي يختار ليس فقط الزمان بل الزوايا المناسبة لتصوير المناظر سبق أن صورها الكثيرون لأن هذا الاختيار في حد ذاته يدل على عبقرية هذا المصور أو ذاك المنشد.

(5) المزج بين القوى البشرية و القوى الاعجازية أو الفائقة للطبيعة :و تعتبر هذه الخاصية من أهم الخصائص التي تميز الملاحم و الأعمال الملحمية الكبرى " و يتمثل ذلك في أن شخصية البطل ذاته الذي كثيرا ما يكون جاء نتيجة تزواج أم من البشر و أب من

¹ حمد يوسف الرومي، عالم الفكر، منقول من احمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا، ص37.

² احمد عثمان الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا، ص67.

الأرباب و الآلهة أو الكائنات غير البشرية لأنه يدخل في تكوين البطل عنصر غير بشري"¹.

مثل جلجامش بطل الملحمة السومرية الشهيرة ، بهذا الاسم انحدر جلجامش من أصل إلهي أو هو يجمع بين عنصرين البشري (حوالي الثلث) (الثلثين) ، و لذا كان يتمتع بكثير من القدرات الخارقة و القوى الاعجازية ، كما نجد أيضا في الإلياذة الآلهة و الريات تنقسم فيما بينها بالنسبة للحروب الطروادية و يناصر كل منهما احد الفريقين المتحاربين و تتصرف كما لو كانت من البشر.

6) الملاحم نوع من الشعر اللاشخصي : أو إنه شعر غير ذاتي هكذا يصفه بعض الكتاب. وعلى رغم من أن الملاحم عمل إبداعي ، وأن الذاتية أو اللاشخصانية عنصر مميز لكل الأعمال الإبداعية سواء أكان ذلك في مجال الأدب أم الفكر أم الفن . "فالشاعر الملحمي في العصور الكلاسيكية في أوروبا لم يكن يستطيع أن يبدأ ملحمة بالكلام عن نفسه أو عن حياته، أو أن يشير إلى الأعمال في أشعاره السابقة، و قد بدا ذلك التقليد بالملاحم الهومييرية واستمر قائلا عند الشعراء الذين جاءوا من بعده، وربما كان أول من خرج عليه

¹ حمد يوسف الرومي، عالم الفكر، المجلد 16، ع1، الكويت، أبريل، مايو، يونيو، 1980، ص7.

هو دانتي في ملحمة الشهيرة الكوميديا الإلهية، و قد يكون ذلك راجع إلى أن الشاعر لم يكن يستطيع أن يزعم أنه وحده هو صاحب الملحمة و مبدعها بكل أجزائها و جزئياتها¹.

كما نجد أيضا فيرجيلْيوس* " نفسه على الرغم من أنه عاش في عصر كانت الكتابة فيه أداة شائعة للتدوين و على الرغم من أنه كتب ملحمة و لم يكتف بأن يقولها شفاهة كان يدرك أنه كان يكتب عن أحداث وقعت أكثر من ألف سنة و أنه ليس له أي سلطان عليها و لذا أضفى عليها ذلك الطابع اللاشخصي"². وكل هذا معناه أن الذي يهم في الملحمة هو "الشعر و ليس الشاعر"³.

"ولكن هذه اللاشخصانية لا تعني أن الشاعر لا يعبر عن عواطفه و أحاسيسه و وجدانه إزاء البطل. وما يحدث له فالشاعر كثيرا ما يتعاطف مع البطل مثلما يفعل فيرجيلْيوس مع ضحايا انياس في الإلياذة"⁴.

(7) التصوير البسيط : "من بين النماذج التي ظهرت في قصيدة الإلياذة للصور البسيطة تلك الصورة التي قدمها الشاعر لكاهن الإله أبو للون ،في أثناء توجهه إلى سفن الأجنبي

¹ حمد يوسف الرومي، عالم الفكر، المجلد 16، ع1، الكويت، أبريل، مايو، يونيو، 1980، ص12.

² المرجع نفسه، ص12.

³ قول الدكتور عبد اللطيف أحمد علي، في كتابه، التاريخ اليوناني، العصر الهلادي، منقول من عالم الفكري، ص12.

* اسم الحقيقي بوبوليوس فيرجيلْيوس مارو المعروف بفيرجيل عاش بين 18 و19 ق م .

⁴ المرجع السابق، ص12.

ليطلق سراح ابنته حاملا معه فدية تفوق الحصر"¹. إلا أن الشاعر حرص على أن يرسم لنا صورة لهذا الكاهن حيث قال أن الكاهن حمل إكليل الإله أبو للون بين يديه فوق عصاه الذهبية، وكان يتوسل لكل الأجنيبين والصورة على بساطتها بها شيء من الحيوية والتجسيم، مضافا إلى ذلك لون الذهب.

¹ 13. home ,illad,with an English translation dy ,a,t,murray tvols,london1954,p13. منقول من كتاب، عالم الفكر،

4) تاريخ الملحمة : تعد الملحمة من أقدم الأنواع الشعرية و أعرقها منذ أقدم العصور

عند الأمم القديمة ، و هي شعر تاريخ البطولات الأسطورية و الحربية عند الأمم ، لأن الشعوب البدائية عاشت في جو مسحور، و لا بد أن تكون للملحمة صدى لتاريخ أمة أو أثر في حياة شعب .ويظهر مما وصل إلينا من الشعر الملحمي بأنه أقدم الشعر الذي ثبت تدوينه قبل غيره.

فالملحمة تمثل الجوانب القومية بما تحويه من عناصر هامة في حياة الشعوب ،من حيث الجوانب الدينية والفكرية والاجتماعية،كما تمثل الأنظمة السياسية والاقتصادية والحربية ،وما تحويه من تصوير لجهاد قوى الشعب، وإبراز العناصر البطولية لدى زعمائه كما يبدو أن 'قيمة الملحمة الشعرية تحرك التاريخ في الوجدان الشعبي الأدبي، من خلال الفكرة التي يستحبها الشاعر من قضايا التاريخ ليوظفها في حركة المستقبل، وفي عملية توعية و رصد و إثارة ليربط المستقبل بالماضي على أساس الفكرة والشعور والهدف الكبير ومن الطبعي أن قيمة أي ملحمة تتخذ من خلال الموضوع الذي تدور الملحمة حوله"¹.

وتعتبر كل من التراجيديا و الملحمة من أهم المصطلحات النقدية التي تواترت كثيرا في كتاب فن الشعر لأرسطو ، و هما في الحقيقة جنسان أدبيان راجا كثيرا في سياق الثقافة الإغريقية التي ساد فيها تكريس الأبطال والآلهة، وأنصاف الآلهة، "التراجيديا و الملحمة كما

¹ جميل صدقي الزهاوي ،ملحمة ثورة الجحيم ،دراسات الأدب المعاصر ،ع12،السنة 3،ص24.

عرفهما أرسطو يعبران عن الأفعال السامية التي يقوم بها الأبطال و الآلهة و مهمتهما التخفيف من فائض العواطف، الشفقة و الرحمة (وظيفة التطهير)¹.

واهتمام أرسطو بالملحمة يريد أن يبين مساهمة الشعر في إبراز الجوانب الإنسانية والهدف هو التطهير، أي أنه يتكلم عن أناس فضلاء، أبطال آلهة، كائنات من مادة نصفها إلهي ونصفها الآخر بشري . ومع ذلك فلا تزال كلمة الملحمة غامضة في كثير من الأذهان صحيح أن الرأي السائد هو أن الكلمة تشير إلى القصيدة القصصية الطويلة التي تسجل الأعمال البطولية الخارقة التي صوّرت عن بعض الأبطال الحقيقيين و الأسطوريين كما نجد ميلا واضحا في بعض الكتابات الحديثة إلى "إطلاق كلمة ملحمة على الأعمال الروائية الكبرى مثل رواية "تولستوي" "الحرب والسلام" بل إن بعض الأفلام السينمائية الضخمة مثل "إيفان الرهيب" تعتبر إبداعات و أعمال ملحمة"².

ومن هذا فإن كلمة ملحمة لم يعد استخدامها على الأعمال الشعرية القصصية الضخمة التي عرفت في العصور الكلاسيكية القديمة ،و في العصور الوسطى وعصر النهضة في أوربا " بل إن استخدامها يمتد لكي يشمل ما يعرف الآن باسم الشعر الملحمي الحديث بل أيضا المسرح الملحمي"³. كما نجد هوراس والبول (1717- 1797) Horace walpal كان

¹ د حسين خمري، الظاهرة الشعرية العربية، الحضور و الغياب ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،ص85.

² 94، 94، p71، 1977، London ,me then, Paul, merchant, the epic ,me then, London , منقول من ،عالم الفكر ،ص4.

³ حمد يوسف الرومي ،عالم الفكر ،ص4.

يسخر من الملاحم و يصف القصيدة الملحمية بأنها "مزيج من التاريخ البعيد عن الحقيقة و من الرواية الغرامية العارية من الخيال"¹.

و نجد أيضا "بو" Poe يهزأ من فكرة المكان ،وجود قصائد طويلة رائعة "و يذهب إلى أنه من بين كل الملاحم التي عرفها العالم خلال تاريخه الطويل ، و بوجه خاص خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر، فإن عددا قليلا فقط هو الذي يستحق الاحترام و الإعجاب و يدخل في هذا العدد القليل ملحمة "جلجامش " "الإلياذة" و "الأوديسة" و بعض الملاحم الأوربية الأكثر حداثة مثل "بيوولف في انجلترا"². والظاهر أن هذه السخرية من الملاحم والقصائد الملحمية الطويلة كان أمرا مألوفا منذ القدم.

(1) تاريخ الملحمة عند اليونان :

إن صورة أدب الإغريق* بالنسبة لنا لازالت غامضة في بعض النواحي و مجهولة في نواح أخرى، و نحن في كثير من الحالات مضطرون إلى اللجوء للتخمين بصدد هذه المسألة أو تلك ، وفي أحيان كثيرة نعتمد في حديثنا على هذا الأديب أو تلك الحقبة ، على معلومات غير مباشرة أي على ما قاله مؤلفون و نحاة لاحقون كانوا يمتلكون بعض المؤلفات

¹ حمد يوسف الرومي ،عالم الفكر ، ص 1.

² نفس المرجع ، ص 1.

* إن كلمة إغريق وردت لأول مرة عند أرسطو، و كان يطلقها على قبيلة صغيرة تقيم على الساحل الغربي لبلاد اليونان، و لقد استعمل

الرومان اسم هذه القبيلة للدلالة على اليونان جميعا.

التي فقدت بعد ذلك. "فالأدب الإغريقي في مجمله أدب شفاهي مسموع لا أدب مكتوب مقروء و ظل الحال هكذا حتى أواخر العصر الإغريقي عندما شرع الفقهاء و النحاة في تحقيقه و تدوينه ، و هذه السمة السماعية أي الصوتية المميزة للأدب الإغريقي تمثل عقبة كئودا في سبيل استيعابنا الكامل لروائعه"¹.

ولهذا لا يستطيع المحدثون مهما أتقنوا اللغة الإغريقية أن يتفهموها فهما كاملا يصل بهم إلى حد تذوق الجانب الصوتي في الأدب الإغريقي ، والأدهى من ذلك أن معظمنا يقرأ الأدب الإغريقي مترجما،و المعروف أن الترجمة في غالب الأحيان تفسد النصوص لاسيما إذا كانت شعرا،ومن المؤكد أنها لن تقل إلينا الجانب الصوتي في اللغة الأدبية الإغريقية نثرا كانت أم شعرا.

وفي دراستنا للتفاصيل الخلفية التاريخية للأدب الإغريقي رأينا ضرورة تسليط الضوء على الجوانب الفنية في مؤلفات هذا الأدب محاولين أن نتعرف على طبيعة و وظيفة كل فن من فنونه و ساعدنا في تدقيق ذلك عاملان رئيسيان أولهما"أن الأدب الإغريقي قد تطور فنيا من مرحلة إلى أخرى على نحو طبيعي للغاية حتى أن بعض النقاد شبهوه بالإنسان الذي تقابل طفولته الشعر الملحمي حيث لا يتحدث في العادة إلا عن أمجاد الآباء و الأجداد"².

¹ احمد عثمان، الشعر الإغريقي، تراثا إنسانيا و عالميا، ص8.

² نفس المرجع ص 10 .

أما الشعر التعليمي فيمثل مرحلة الصبا أي مرحلة تلقي العلوم و الدروس،و يأتي الشعر الغنائي تعبيراً عن مرحلة الشباب بكل ما فيها من اهتمام بذات و تأجج في العواطف و الأهواء،و بعد ذلك تصل الدراما فتقطف هذه المراحل الثلاث جميعاً،و تعبر بالأدب الإغريقي إلى مرحلة الرجولة الناضجة."و سواء قبلنا تشبيه الأدب الإغريقي و تطوره بمراحل حياة الإنسان أو رفضناه فإنه من الواضح أن هذا الأدب قد اتخذ مسارا تطوريا طبيعيا دون أن يقفز فجأة من عصر إلى آخر و دون أن تحدث به فجوات غير مفهومة أو ظفرات غير مبرزة"¹.

أما العامل الثاني الذي ساعدنا على دراسة الجانب الفني للأدب الإغريقي في ثنايا تناولنا التاريخي له يتمثل في إن "هذا الأدب يتعامل بشكل مباشر أو غير مباشر مع مشاكل الإنسان في كل الزمان و مكان و من ثمة فإن تذوقه أمر ميسور أما التجاوب معه فنتيجة مضمونة"². و من هذا فان الأدب الإغريقي يعالج موقع الإنسان في هذا الكون و علاقته بالأشياء و الأحياء من حوله و موقفه من الآلهة كما أنه لا يركز على الآلهة كآلهة ولا على البشر وحدهم،بل يمزج بين هاذين العاملين لأنه يعتبرهما طرفين شريكين في صنع عالم واحد،ووجود واحد فريد من نوعه،لم تعرف الآداب القديمة له مثيل من قبل. ويمكننا تقسيم تاريخ الأدب اليوناني إلى عدة عصور لا تميل إلى تحديدها سنوات معينة، لأن التحديد الدقيق لا يمكن تطبيقه في دراسة الأدب،و لأن الأدب اليوناني

¹ احمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا ص10.

² نفس المرجع ص 10 و 11.

بالذات امتاز بالتطور المنطقي المستمر فيكاد يكون الأدب الوحيد بين آداب أوروبا القديمة و الحديثة الذي تطورت فنونه تطورا طبيعيا يتناسب مع تطور المجتمع اليوناني و ازدهار حضارته.

"كانت الأناشيد و الملاحم هي أول الفنون الآداب اليوناني ظهرت في فترة ما قبل التاريخ أو عصر الأبطال و الأساطير و تبدأ هذه الفترة بنزوح القبائل الآرية إلى بلاد اليونان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد و تنتهي في منتصف القرن الثامن تقريبا و أهم آثاره الأدبية التراتيل الدينية و الملاحم"¹. لذا تعتبر الملاحم أقدم القصائد التي وصلتنا من الأدب اليوناني،وإذا ما ذكرنا الملاحم اليونانية يبادر مباشرة إلى الذهن اسم هوميروس وهسيودوس، لأنهما أعظم شاعرين نظما في هذا الفن أروع قصائد التي عرفها تاريخ الأدب. أما التراتيل الدينية فهي جزء من العبادات و أشهر الشعراء الذين نظموا هذه الأناشيد هم أورفيوسولينوس*وموسايوس.

¹ محمد صقر خفاجة ،تاريخ الأدب اليوناني ،بإشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية و التعليم بمصر 1936ص17.

*تتسب إليه الديانة الأورفية التي انتشرت في القرن السادس ،وخاصة في ايطاليا الجنوبية و صقلية وتقوم هذه الديانة عن الإيمان

الراسخ بالعدالة الإلاهية و الطهارة التي تحرر النفس من البدن .

أما هوميروس نظم الدرتين الخالدين للإلياذة و الأوديسة "وتعطيان للقارئ صورة صادقة للمجتمع اليوناني في عصر الأبطال أو عصر الإقطاع عندما كان يحكم اليونان ملوك يدعون أنهم من سلالة الآلهة يمارسون الحكم بناء على حكم مقدس يتفوقون على باقي الشعب بقوتهم ،و بسالتهم بثناء هم وحكمتهم فكان على رعاياهم أن يطيعوه طاعة عمياء لا لأنهم من سلالة الآلهة فحسب بل لأنهم من أقوى الناس وأصلحهم للحكم يمكن الاعتماد عليهم عند الشدة"¹.

أما هسيودوس "فيختلف كل الاختلاف عن هوميروس مع أنه عاش بعده بوقت قصير لا يزيد القرن بل يقل ، حقا لقد نهج منهجه و حافظ على لغة الملحمة و شكلها و لكنه غير في موضوعها تغييرا شاملا"².

فهو في ملحمة "الأعمال و الأيام" لا يصف لنا أعمال الآلهة و الأبطال ، و لا يحدثنا عن المجتمع بصورة عامة و لا ينكر نفسه بل يظهرها لتعبر عن مشاعر الإنسان الذي يحزن و يفرح و بذلك انزل الملحمة إلى الأرض بعد أن حلق بها هوميروس في السماء ، فنظم الشعر ليعلم الناس فنون الزراعة و يعرفهم الواجبات التي فرضت عليهم في المجتمع الذي يعيشون فيه.

¹ محمد صقر خفاجة ،تاريخ الأدب اليوناني ،بإشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية و التعليم بمصر 1936ص18.

² نفس المرجع ص.19.

وبعد هوميروس وهسيودوس ظهر شعراء نظموا الملاحم الركيكة لا نكاد نعرف إلا أسماءهم وعناوين قصائدهم التي اندثرت و لم تقاوم صروف الدهر لرداءتها "فعارض اليونان عن الاستماع إليه وبدعوا يطالبون بنظم أشعار من نوع جديد ذات نغم جديد، و كان هذا التغيير في الميول الأدبية نتيجة لتطور المجتمع من الناحية الاجتماعية و السياسية"¹.

فقد زالت الملكية المستبدة التي عاش في كنفها هوميروس و هسيودوس وجاءت بعدها حكومة الأقلية التي سقطت بدورها ، بسبب الانقلابات التي قام بها الطغاة في منتصف القرن السابع، ثم زال هذا الحكم أيضا عندما ظهرت الحكومات الديمقراطية والأرستقراطية في أواخر القرن السادس ، وتبع هذا التطور السياسي تغيير اجتماعي خطير فظهرت روح جديدة سادت القرنين السابع و السادس نتيجة لقوة شخصية الفرد و أهمية الدور الذي يقوم به، وانتهت الأحلام الذهبية التي كانت تتصل بالماضي البعيد و لم تعد تشغل بال أحد، ولم يعد الشعراء يتغنون بالأبطال و الآلهة . بل أصبحوا يهتمون بوصف الحياة اليومية و حاجياتهم، ويتعرضون لمشاكلها وهمومها ويصفون مشاعرهم الخاصة و عواطفهم الشخصية، فيتكلمون عن حبههم و صداقتهم و صلاتهم و يعبرون لأول مرة عن آمالهم و مخاوفهم و هكذا ظهرت الأشعار الغنائية.

¹ محمد صقر خفاجة ،تاريخ الأدب اليوناني ،ص21.

وهكذا أعطى الإغريق لأدبهم أهمية خاصة وجدية ذات مستوى رفيع، و نادر فكسبوا له الخلود و العالمية. فالأدب عندهم وسيلة لفهم الحياة الإنسانية دون أن يكون مجرد نقد لهذه الحياة.

وفي الأخير يمكن القول على أنه ماذا يمكن أن نقوله نحن العرب بالنسبة لما تمتلكه مكتبتنا عن الأدب الإغريقي، إذا كان الأوروبيون بعد عدة قرون من حركة إحياء التراث الكلاسيكي إبان عصر النهضة و حتى القرن العشرين ،يقولون أنه ليس لديهم بعد الكتاب الوافي الذي يغطي الأدب الإغريقي تغطية شاملة ،فإننا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن كل ما لدينا بالمكتبة العربية عن الأدب الإغريقي ،لا يعدو أن يكون مجرد قشور طفيفة "وكل الجهود المبذولة من أيام طه حسين وحتى الآن تعد بمثابة جولات استطلاعية عامة وغير منظمة"¹. ويمكن أن نستخلص على أننا لم نصل بعد إلى مرحلة الغوص في باطن الأدب الإغريقي و استخراج جواهره و لآلئه.

¹ احمد عثمان، الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا و عالميا، ص11.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الشعر البطولي

1 - سيرة عنتر بن شداد

2 - عمرو بن كلثوم

3 - ديوان الحماسة لأبي تمام

الشعر البطولي:

ففي تتبعنا لملاحم البطولة في الشعر العربي نجد أن البطولة عند العرب حتى في الجاهلية كانت جمعا لكثير من صفات الخير، كالنجدة والمروءة أو الشجاعة والشهامة، ومن ثم كان تعريفها عند علماء العرب انطلاقا من هذه المفردات. فنجد أبو حيان في كتابه "الهوامل و الشوامل" في تعريفه للبطولة فيقول بأن "البطولة و إن كانت في معنى الشجاعة فإنها مختصة بما يظهر في الغير ولا تستعمل في قهر الإنسان لشهوات نفسه وهي تابعة للفروسية"¹.

أما الشعر البطولي فهو "مدح الأشخاص بصفات البطولة و الإقدام و قد يكون البطل شاعرا فيصف نفسه و قد يصفه غيره و يصاحب هذا الوصف تصوير لمكان الحرب و ما يحدث من قتال بل و يصوّر شجاعة العدو و قوته و سطوته و هيئته ليبين البطل أنه استطاع أن يقهر عدوًا كبيرا فيتسم بخصائص بطولته"².

و من هذا فأن البطولة تتكون من أربعة ملامح و هي:

- الملمح الأول: يتمثل في أخذ مفردات كثيرة من مكارم الأخلاق.

- الملمح الثاني: يتمثل في أن البطل يحكم عقله و فكره قبل أن يأخذ قراره في خوض الحرب.

¹نعيم محمد الغني، ملامح من صورة البطل في الأدبين العربي والتركي، 2009، ص 1.
² نفس المرجع، ص1.

أما الملمح الثالث : ينص على الوعي السياسي فنجده حاضرا عند البطل في الشعر العربي فهو يفاوض الخصم و يقرأ نقاط ضعفه و قوته كالشنفري .

والملمح الأخير فنجد أن البطولة لا تقتصر على طبقة النبلاء بل إنها تتسرب إلى طبقات الدنيا من المجتمع مثل عنزة اشتهر بالبطولة رغم أن قومه كانوا يعتبرونه عبدا و يفخر بنفسه و ببطولته.

(1) سيرة عنزة :

من أشهر الملاحم الشعرية التي عرفها تاريخنا هي تلك التي اشتهرت باسم المعلقات وهي التي كتبت في العصر الجاهلي قبل الإسلام و من أشهرها معلقات: امرئ القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن أبي سلمى ، عنزة بن شداد ، و عمرو بن كلثوم . فكان الشاعر في هذه المعلقات يروي غالبا حكاية قومه و مكارم أخلاقهم و ما حققوه من مجد و بطولات، أو يحكي الشاعر بطولاته هو و شجاعته و بلاءه في الحروب . فلم يشتهر احد من أهل الجاهلية وكثير من أهل الإسلام بين العامة والخاصة، اشتهار عنزة فلا تكاد ترى رجلا أو امرأة أو صبيا عالما أو جاهلا فقيرا أو غنيا ، إلا وهو يعرف اسمه أو يسمع شيئا عنه ، وسبب اشتهار قصته المشهورة التي يعرفها الجميع تقريبا ،هي عبارة عن رواية تاريخية وضعت بعد صدر الإسلام ولم يعرف واضعها وغير أنهم ينسبونها إلى (الأصمعي) في أوائل القرن الثالث للهجرة .

بدأت معاناة عنتره "في الطفولة الباكرة حين وجد نفسه بسبب بشرته السوداء و شفثيه المشقوقتين غريبا منبوذا بين لداته فترسبت في نفسه طبقات المرارة و الأسى التي ظلت تدمي فؤاده إلى أن وقع الحدث الهام في حياته و هو اعتراف والده بأبوته له و التحاقه بنسبه فصار عنتره بن شداد العبسي"¹.

ومن هذا يتضح أن اعتراف والده به يرجع إلى بسالته و شجاعته ،وكان السبب في ذلك أن بعض "أحياء العرب أغاروا على بني عبس فاصبوا منهم فتبعهم العباسيون فلحقوهم فقاتلوهم و فيهم عنتره فقال له أبوه : كر يا عنتره فقال له : العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب و الصر ، فقال كر و أنت حر ، فكر و قاتل يومئذ فابلي و استنفذ ما في أيدي القوم من الغنيمة ، فادعاه أبوه بعد ذلك"².

كان عنتره من أشجع الفرسان و أجود العرب فكان جريئاً يتسم بالبطش و الأخلاق الحسنة "وقد بلغ من شجاعته أن قومه بني عبس غروا بني تميم وعليهم قيس بن زهير ،فانهزمت بنو عبس و طلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنتره ولحقتهم كوكبة من الخيل، فحامى عنتره عن الناس فلم يصب مدبر، وكان قيس بن زهير سيدهم فسأه ما صنع عنتره يومئذ"³.

و هذا ما جعله يقول معتزلاً :

¹ سامية ناوي ، سمات المجتمع في شعر عنتره بن شداد العبسي، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة و الأدب ، جامعة بجاية 2009،2008،ص6.

² يوسف بن سليمان بن عيسى، أشعار الشعراء الستة الجاهلين، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص107.

³ الشيخ مصطفى الغلابين، رجال المعلقات العشر، ص214.

فوق الثريا و السماك الأعزل

إن كنت في عدد العبيد فهمتي

فسنان رمحي و الحسام يقرلي

لو كنت فرسان عيسى نسبتي

لا بالقرابة و العديد الاجزل

و بذابلي و مهدي نلت العلا

و النار تقدح في شفار الانصل

ورميت مهري في العجاج فخاضه

شهد الوقية عاد غير محجل"1.

خاص العجاج محجلا حتى إذا

يمتاز شعر عنتره بعذوبة الأسلوب و سهولة اللفظ و رقة المعنى ، و له حلاوة الغزل و متانة
الفخر وهذا ما نجده عند عنتره بن شداد كغيره من الشعراء ، نظم في هذا الغرض أي المدح
والفخر وله قصيدة يعدد أسماء السادة الأشراف الذين قتلهم في حرب داحس و الغبراء مثل
ربيعة وابنيه ، والهذبان وجابر بن المهمل ،ومالك الزجرقان ثم يقول بعد ذلك مفاخرًا ذوي
الأصل العريق:

صنع ترعرع في رسوم المنزل

"وأبا ابن سوداء الجبين كأنها

و الشعر منها مثل حب الفلفل

السياق منها مثل ساق نعامة

برق تالاً في الظلام المسدل

والثغر من تحت اللثام كأنه

هلا رأيتم في الديار تقلقي"1.

يا نازلين على الحمى و دياره

¹ شرح ديوان عنتره، الطبعة الثانية، دار صادر بيروت، 2005، ص 197.

نجد عنتره يفتخر بمكانته في قبيلته و ذلك راجع إلى الإنجاز الذي قدمه لقبيلته فهو يعتبر
قدوة للفارس المغوار الذي لا يرهب عدوّ و يظهر ذلك في هذا المقطع:

وما ردّ الأ عنه غير عبد و نار الحرب تشتغل اشتغالا

بطعن نزع الأبطال منه لشدته فتجتب القتالا

وراحت خيلهم من وجه سيفي خفافا بعد ما كانت ثقالا

تدوس على الفوارس و هي تعدوا و قد أخذت جماجمهم نعالا².

وتعتبر معلقة عنتره من أجمل المعلقات و أكثرها انسجاما و أبدعها وصفا و أنشدتها حماسة
وفخرا. "فالمعلقة تصوير واضح لنفسية الشاعر ومشاعره و حياته وعواطفه وبطولته وقوته
وبأسه ونضاله للأعداء، ولاعجب فهي تنبع من نفسه وحياته وتصوّرها تمام التصوير"³.

ويدلّ هذا على أن المعلقات مرآة تعكس صاحبها، فهذا ما ينطبق على عنتره، و إن كنا
لم نعرف عنتره أو سمعنا بأخباره و حياته، لعرفناه من خلال معلقته بأنه بطلا مقداما
وفارسا شجاعا، وعربيا كريم الخلق. "يضع روحه في كفه، ويبدلها مضحيا في سبيل كرامته

¹ مصطفى الغلابي، رجال المعلقات العشر-ص198.

² شرح ديوان عنتره، ص115.

³ يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري، أشعار الشعراء الستة الجاهلين، ص120.

وشرفه و بطولته، و قد سار على نهج غيره من الشعراء فذكر الديار كما ذكروها، و وصف الناقة كما و صفوها، وافتخر بالكرم و النجدة و البطولة¹.

فكان أول ما قاله معلقته المشهورة :

"هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

أعيك رسم الدار يتكلم
حتى تكلم الأصم الأعجم

و لقد حسبت بها طويلا ناقي
أشكو إلى سفع رواكد جثم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي
و عمى صباحا دار عبلة وا سلمى

دار الأنسة غضيض طرقها
طوع العتاق لذيدة المبتسم².

"فغنترة في معلقته يتحدث عن البطولة في البداية ، و عن المجتمع الذي كان يعيش فيه ،
وعن الحياة التي كان يتأثر بها ، و عن عواطف الشاعر و دخائل نفسه، حديث المصوّر
الماهر، و الشاعر العبقرى"³.

وفي الأخير نستخلص أن عنتره قضى كل عمره في الحروب والقتال وقول الشعر
فصار من فحول أبطال العرب "حتى تحولت حيلته إلى ملحمة شعبية تتناقلها الأجيال
فيتترك كل جيل بصمته الفنية و الخيالية عليها ، فامتدت حياته و بطولته من عصر
الحروب الصليبية في الشرق العربي و حروب الفرنجة في الأندلس و شمال افريقيا

¹ يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري ، أشعار الشعراء الستة الجاهلين ،ص120.

² المرجع السابق ،ص111.

³ المرجع السابق،128.

وربما لأنه يمثل الصورة النموذجية للفارس المقتحم الجبار ، الباسل لا يهرب عدوًا ولا يخسر معركة في اقتحام الهول"¹. فتعتبر أشعاره من النوادر، لهذا مازالت روايته تنتقل من جيل إلى آخر ، صارت مع الزمان رواية كبيرة تعرف الآن بقصة عنتره بن شداد العبسي ، ويلتذ بقراءتها إلى الآن كثيرون.

فهذا هو عنتره الفارس العربي الذي عاش بين السيوف و الرماح و صرف حياته في الحرب والنزال، و امتاز على أقرانه بالخلق الكريم والعمل النبيل وذهب في التاريخ كشاعر السيف والبطولة دون غيره من شعراء العرب أجمعين .

¹ منى ناوي، سامية ناوي ، سمات المجتمع في شعره عنتره بن شداد العبسي ، ص 9، منقول من الشعر الجاهلي بين القبلية و الذاتية ، د إخلص فخري ص 270.

2) عمرو بن كلثوم

هو عمرو بن كلثوم، احد شعراء الجاهلية و فرسانهم وأشرفهم، ومن أصحاب

المعلقات، و مكانته في الشعر الجاهلي تضارع مكانة كثير من الشعراء.

"كان شاعرا فجلا مطبوعا، صافي الديباجة كثير الطلاوة، حسن السبك، واضح المعاني،

شديد الفخر، قوي الشكيمة في الحماسة"¹. و من خصائص شعره " شاعر غمر البديهة

رائق الأسلوب نبيه الغرض، إن كان مقلا، لم يتقلب في فنون الشعر و لم يرخ العنان

لسليقته، شغلته الرياسة و خوض الحروب"². لذلك لم يشتهر إلا بمعلقته التي قامت له

مقام الشعر الوفير لحسن لفظها و انسجام عبارتها و وضوح معناها و رشاقة أسلوبها.

أسباب شاعريته هي:

1. "أسرة الشاعر ، و كثرة الشعراء منها و من قبيلته.

2. بيئته في الجزيرة الفراتية و اتصالها بثقافات كثيرة منها ثقافة النصرانية .

3. مجد الشاعر وحسبه فقد أنطقاه بهذا الشعر الرائع و الفكر والفخر القوي البليغ.

4. كثرة الخصومات و الحروب بين تغلب و بكر شاهدها الشاعر وأججت ثورة الشاعرية

في نفسه.

¹ مصطفى الغلاييني ، رجال المعلقات العشر ، ص191.

² المرجع نفسه ، ص181.

5. الخصومات الأدبية بينه و بين خصمه شاعر بكر الحارث ابن حلزة إلى غير ذلك

من بواعث شاعريته¹.

. وأهم أغراض الشعر عند عمرو هو الفخر ، يفتخر بمجده و مجد قومه و حسبهم و شرفهم .و من هذا فلم نرى بين شعراء المعلقات و غيرهم من شعراء الجاهلية من يداينه في فخرياته إلا الحارث بن حلزة صاحب المعلقة السابعة ، و في حماسيته إلا عنتر بن شداد صاحب المعلقة السادسة ، فهو في شعره مهبط الحماسة و موحى الفخر مع لفظ جزل و أسلوب رائع و يدل ذلك في قوله :

على عمد سنأتي ما نريد

ألا فاعلم أبيت اللعن - أنا

و أن زناد كبتنا شديد².

تعلم أن محملنا ثقيل

معلقته و سبب نظمها :

عمرو شاعر قوي الشاعرية مجيدا ، و معلقته المشهورة "ألا هي بصحنك فاصبحينا " و هي من جيد شعر العرب ، وإحدى المعلقات السبع ، و كان قام بها خطيبا فيما كان بينه و بين عمرو بن هند " وهي حماسية فخرية قيل أنها كانت ألف بيت و نيفا

¹ مصطفى الغلاييني ، رجال المعلقات العشر ، ص181.

² نفس المرجع، ص199.

وما وصل إلينا هو جزء يسير منها قال معاوية بن أبي سفيان قصيدة عمرو بن كلثوم

و قصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب و كانتا معلقتين بالكعبة¹.

وقد قام بها عمرو خطيبا في سوق عكاظ ، وقام بها في موسم مكة وبنو تغلب تعظمها

جدا ، مما يروونها صغارهم و كبارهم و تقع في مائة بيت و تقسم إلى قسمين :

أولها "المفاخرة و هو القسم الذي أنشده في قصر عمرو بن هند يوم الاحتكام مع بني

بكر، ويتكون من المقدمة و ذكر الخمر و الحبيبة و مخاطبتها و وصفها، ثم الدفاع

بالمفاخرة و التهديد.

ثانيها يبتدئ من البيت التاسع و الأربعين و يمتد إلى المائة و هو القسم الذي قاله بعد

قتله الملك². "أما لغة المعلقة فهي أجود لغة المعلقات السبع، إذ غلب عليها الوضوح

مع القوة و الإحكام و قلّ فيها الغريب، و ما تضمنت منه غريب نسبي³.

ومن هذا فإن شعره يمتاز بالبديهة و الارتجال و أسلوب الرائق و أغراضه العالية، وهو

مقل لم ينظم في فنون الشعر جميعها "فأسلوب عمرو يمتاز بقوته وسلاسته وحلاوته

وتمتاز معانيه بالوضوح و كثرة المبالغة و بالصراحة، و روح الصحراء البادية فيه⁴.

¹ مصطفى الغلابيني ، رجال المعلقات العشر ،ص201.

² أبو عبد الله الحسين بن أحمد تحسين الزوزني ،شرح المعلقات العشر ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت لبنان ،ص196.

³ معلقة عمرو بن كلثوم "دراسة و تحليل"، مختار سيدي الغوث ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 22، ع1+2006، ص2، ص186.

⁴ لمرجع نفسه ،ص 181.

1) خصائص المعلقة:

ولمعلته قيمة تاريخية"فهي تدلنا على حالة العرب من حيث الدين والاجتماع والعادات والصناعات والألعاب، فتخبرنا عن طواف النساء للرجال في القتال وعن لعب الصبيان بسيف الخشب وقذف الكرة و غير ذلك من الفوائد التاريخية، والمعلقة هي:

ألا هبي بصحنك فاصبحنا
و لا تبقى خمور الأندر ينا

مشعشة كأن الحص فيها
إذا ما الماء خالطها سخينا"¹.

ومن هنا فان معلقة عمرو بن كلثوم هي معلقة دقيقة الوصف، فيها التنسيق والمنطق والإيجاز البليغ و حسن السبك و حتى قدرها وامتدحها الكثير من الكبار القدماء وأثنوا عليها. كما أن المعلقة "لينة الشعر سهلة الألفاظ تجري ألفاظها كالسيل الجارف و تثير معانيها من يقرأها فيتصوّر عمرا على رأسه قبيلته الثائرة يهدد و يصيح، و قد اندفعوا للطرد كأحسن ما يكون الاندفاع و السباق"². ولم يفخر الشاعر في هذه المعلقة إلا بالقوة. "لأن المقام الذي قيلت فيه لا يستدعي غيرها، و كان فخره جماعيا و لم يفخر، ولم يفخر بنفسه، ولا ذكرها إلا مرة واحدة و سبب ذلك أنه كان يفخر عن قبيلته قبيلة تعاديه و لم يكن يفخر فردا"³.

¹ أبو عبد الله الحسين بن أحمد تحسين الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص199.

² نفس المرجع، ص197.

³ مختار سيدي الغوث، معلقة عمرو بن كلثوم، ص71.

وقد استهلها الشاعر بالخمير على غير عادة الجاهلية، ثم عدل عنها إلى الغزل، وسبب ذلك فيما يبدو أنها كانت قصيدتين قيلتا في مناسبتين مختلفتين فكان الخمر مقدمة لإحداهما والغزل مقدمة لأخرى ثم خلطهما الرواة لشبهه بين غرضيهما و لتوافقهما وزنا و قافية.

وفي الأخير نستطيع القول أن معلقة عمرو بن كلثوم معلقة نالت شهرة لم تتلها معلقة أخرى في العهد القديم ، وهذا ما يتضح في صغار التغلبيين وكبارهم في حفظهم لها، وهذا ما جعلهم يرددونها ويتغنون بها و يفتخرون على سواه من القبائل بقصيدها .

وهذا ما يظهر في قول أجد بني بكر:

قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

"ألهى بني تغلب عن جل أمرهم

بالرجال لشعر غير مسؤوم"¹.

يفخرون بها مذ كان اولهم

¹ أبو عبد الله الحسين بن أحمد تحسين الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص197.

3) ديوان الحماسة لأبي تمام:

حمل العصر العباسي بذور التغيير و التجديد على المستويات كافة . ما أدى ذلك إلى تطور الأذواق فاتجه الناس ينهلون من معطيات الحضارة الجديدة و يتفاعلون معها، وكان من أثر ذلك التغيير ابتعاد القارئ العربي عن مطالعة المطولات الشعرية ، واستعاض عنها بالمقطوعات القصيرة التي تتلاءم مع ذوقه من حيث الشكل والمضمون . وهكذا صار الشعراء يهتمون بالمقطوعات القصيرة ، وأكثر من ذلك أخذ بعض كبار الأدباء والنقاد يجمعون من هذه القصائد ما يحلو لهم تلبية لرغبات الجمهور، ورتبوها حسب المعاني الشعرية لتشمل الأغراض المختلفة . وأقدم ما عرفناه من هذه الاختيارات ما جمعه أبو تمام واشتهر عند المتأخرين و عرف باسم "الحماسة". و هو درجة من التأثير و الشيع و لا يضاهاها أي اختيار آخر في الشعر العربي القديم. لقد كانت الحماسة الاختبار الشعري الأول الذي يبنى على الأبواب ، و قد سمي المجموع باسم أول فصوله، و أطولها الحماسة "الذي يتكون من مائتين و واحد وستون قطعة شعرية ، ويتبع هذا الفصل عشرة فصول أخرى : المرثي مائة و سبعة وثلاثون قطعة ، الأدب خمسة وخمسون قطعة ، النسيب مائة و واحد وأربعون قطعة، الهجاء ثمانون قطعة ، الأضياف مائة و عشرة قطعة ، المدح اثنان و ثلاثون قطعة ، الصفات ثلاث قطع ، السير النعاس تسع قطع ، الملح خمسة و ثلاثون قطع ، مذمات النساء تسعة عشر قطعة ، و يتكون كل فصل من مختارات

يتراوح طولها بين بيتين و ثلاثة وأربعين بيتا ، أما الأغلبية البارزة فهي القطع من ثلاثة إلى خمسة أبيات"¹.

ومما يشير إلى أهمية الحماسة ، العدد الضخم من الشروح التي قامت عليها . و من أهم شروحها هي :

- 1) شرح أبي محمد القاسم بن محمد الأصبهاني المتوفى سنة 287هـ.
- 2) التتبيه في شرح مشكل أبيات الحماسة لأبي الفتح عثمان بن جسنى المتوفى سنة 392هـ.
- 3) شرح المرزوقي أحمد بن محمد المتوفى سنة 421هـ.
- 4) الباهر في شرح ديوان الحماسة لأبي علي الفضل الطبرسي المتوفى سنة 547هـ.
- 5) شرح أبي زكريا يحيى بن علي بن خطيب التبريري المتوفى سنة 502هـ.
- 6) شرح عبد الله بن الحسين العبكري المتوفى سنة 616هـ.

على الرغم من الدراسات النقدية المعاصرة المتعددة حول الحماسة، إلا أن الباحثين لم ينجزوا بعد فهما متماسكا أو مقنعا للبنية المبدعة لهذا الاختيار، و هي بنية أصبحت فيما بعد

¹ الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، تأليف سوزان بينكيسيتيكيفيش ، ترجمة حسن البنا عز الدين ، طبعة الأولى 2008 ، العدد 1210 ، المركز القومي للترجمة ، ص 394.

نموذجاً و تفسيراً مقبولاً لشهرتها السائرة بوصفها تعبيراً عن التراث الأدبي العربي . ويرجع

فشل الباحثين إلى سببين :

(1) "عدم الاهتمام بوضع الحماسة بشكل مناسب في سياقها الثقافي التاريخي .

(2) عدم البحث فيما وراء الحماسة عن الحساسية الشعرية نفسها التي انبثق عنها ديوان

أبي تمام أو ادراك هذه الحساسية"¹.

(1) الحماسة و مفهومها:

(1) نشأة ديوان الحماسة: "في إحدى رحلاته وكان قد قصد عبد الله بن طاهر بخراسان،

فمدحه فأثابه الأخير على مدحه وعاد أبو تمام إلى بغداد ، فكان من حسن الحظ . حظ

التراث الأدبي أن وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنعه من السفر ، وفي هذا الوقت كان

شاعرنا ضيفاً لدى صديقه أبي الوفاء بن سلمة في همدان، ضاق صدر أبي تمام الذي

تعود الترحال والتنقل فما كان من صديقه أبي الوفاء إلا أن وضع مكتبته بين يديه وطلب

منه أن يوطن النفس على الإقامة ، فالثلج لن ينحصر إلا بعد زمن"².

وهكذا بدأت رحلة الاختيار و الانتقاء لدى شاعرنا الذي وافق العمل، ما يختلج في نفسه من

حب الشعر و الأدب فولد كتاب ديوان الحماسة الذي يعد اليوم من أهم الكتب.

¹ سوزان بينكنستيتكيفيتش، الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، ص350.

² أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ،شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه و كتب حواشيه غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، طبعة الأولى 1424، 2003هـ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ص3.

"ولا نعرف إن كانت تسمية الكتاب من صنع أبي تمام نفسه أم هي عرف جرى بين الأدباء، وشهرة سارت على وجه الدهر حتى انتقلت إلينا جيلا بعد جيل"¹. ومن هذا فان تعيين التاريخ الدقيق للحماسة أو المكان المعين ألفت فيه هو الاعتراف بأنها عمل غير متسرع سواء في الإعداد له، أو في تأليفه، وإنما هي ذروة اختياراته الشعرية من حيث الجماليات، إن لم يكن من حيث التاريخ.

"فالحماسة كانت نتاج عمل ممتد من تجريب، وتقييم لعمليات اختيار مختلفة وأطر تنظيمية متنوعة حسب القبيلة و التاريخ من خلال قصائد كاملة أو قطع شعرية مكونة من شعراء مشهورين أو مغمورين لشعراء قداماء أو محدثين وعلاوة على هذا فان الموضوعات وترتيبها الخاص حتى بعد الاستقرار عليهما كانا لا يزلان قابلين للتنوع"².

وقد اختبر أبو تمام عدة احتمالات في هذا الصدد و كانت الحماسة هي السبّاقة في هذا المضمار، وفي ضوء هذا يمكن أن نرى في الحماسة خلاصة وافية لديوان العرب الأكبر. تؤدي بطريقة منجزة ومنظمة الوظائف نفسها التي يعينها التبريري للمدونة الكبرى من الشعر العربي "إلا أن الحماسة لم تؤد هذه الوظائف على المستوى القبلي الجاهلي وإنما على المستوى القومي اللاتاريخي"³.

¹ أبي علي أحمد بن محمد بن حسن المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ص3.

² سوزان بينكنستيتكيفيتش، الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، ص398.

³ نفس المرجع ، ص، 401.

(2) مفهوم الحماسة :

عرفت كلمة "حماسة" بشكل عام بمعنى الشجاعة أو بالترادف معها ، ومع ذلك فإن هذا التعريف البسيط أو حتى الامتداد الرحب له من معنى الشجاعة أو البسالة في ميدان الحرب أو في مواجهة الخطر أو في مفهوم أوسع من الصمود، لا يفسر بروز هذه الكلمة في حماسة أبي تمام واستمرارها في عناوين الاختيارات المحاكية لها .

"الحماسة الشدة في الأمر ، يقال حمس الرجل في الأمر ، يحمس حمسا إذا اشتد فيه وهو أحمس وحميس ، وكانت قريش وحمس وحميس ، وكانت قريش وكنانة وخزاعة وجماعة من بين عامر بن صعصعة يسمون حماسا لتشددهم في أحوالهم دينا و دنيا"¹ .

إن مفهوم الحماسة لا يقتصر على الشجاعة أو البسالة في ميدان الحرب وطبقا للتبريزي، فهو يشير إلى صرامة و شدة من النوع المرتبط بحالة مقدسة (كهنوتية) بمعنى التصميم. كما يمكن أن تمتد كلمة حماسة امتدادا دلاليا أو مجازيا إلى المجال الأدبي كي تسمى بقصائد باب الحماسة ،وهي قصائد تعبر في أحكامها و ايجا زيتها أفضل تعبير عن القيم و العواطف التي تكوّن التقليد الأدبي العربي.

¹ سوزان بينكنستيتكيفيتش، الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، ص430.

3) الحماسة و الإجماع الأدبي:

إن ديوان الحماسة هو تفسير الشاعر العباسي لماضيه الأدبي، وليس محاولة لغوية تاريخية لتسجيل شعر القدماء وتوثيقه، وهو السبب في التقصير المعيب للنقد العربي القديم، والغربي الحديث تجاه هذا العمل. وتبدو ملامح الحماسة على أنها أثارت حيرة النقاد السابقين، مما يمكن شرحها دون صعوبة بأنها تكتيكات التي سعى الشاعر الجامع من خلالها إلى إخماد أصوات الشعراء المفردين كي يوحدوا في الصوت الأدبي أكثر تماسكا وشمولا تظهر هذه الوحدة الصوتية أولا في التوزيع العددي للمختارات الشعرية في الحماسة ، فبينما تتكون المفصليات والأصمعيات في الأغلب من قصائد كاملة تتراوح متوسط طولها بين 20 و 40 بيتا على التوالي بحيث تبدو لنا مثل معرض للصوّر ، يعرض تنويعه من اللوحات لرسامين مختلفين¹. فالحماسة إذن أقرب إلى فسيفساء مكوّنة قطع صغيرة من الشذرات الشعرية من الصعب تمييزها في النسيج التصويري الكلي .

إن الحماسة تتكون من 882 قطعة ترد 264 غير منسوبة إلى شاعر معين يسبقها

فحسب عبارة "قال آخر" مثل :

قال آخر :

لسفتا لهم سيلا من المال مفعما

'فلو أن حيا يقبل المال قدية

¹ سوزان بينكنستيتكيفيتش، الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، ص369.

و لكن أبى قوم أصيب أخوهم رضى العار فاختروا على اللبن الدما"¹

وثلاثة قطع شعرية منسوبة إلى قبيلة الشاعر فحسب، مثل:

و قال بعض بني فققص :

"رأيت موالِيّ الألى يخذلونني
فهلأ أعدوني لمثلي . تفاقدوا .
وهلأ أعدوني لمثلي . تفاقدو .
على حدثان الدهر إذ يتقلب
إذ الخصم أبزى مائل الرأس أنكب
وفي الأرض مبنوثا شجاع وعقرب"².

أما سائر القطع 581 فمنسوبة إلى 285 شاعرا، مثل:

قال أبو محمد اليزيدي :

عجبا لأحمد و العجائب جمة
إن العجيب لما أبئك أمره
وغد يلوك لسانه بلهاته
وترى ضباية قلبه لا تنجلي"³.
أنى يلوم على الزمان تبديلي
من كل مفلوج الفؤاد مهبل

¹ أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ، ديوان الحماسة ، تأليف أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، شرحه و علق عليه أحمد بن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ص 39.

² المرجع نفسه ، ص 38.

³ المرجع السابق، ص 317.

كما أن ترتيب الحماسة على أبواب و الأشعار القليلة للشاعر المفرد لم ترد في موضع واحد، و إنما تبعثرت في مواضع عدة، بحيث لا يستطيع القارئ أن يتذكر ما إذا كان اسم الشاعر قد ورد من قبل أم لو يرد ، و إذا كان قد ورد فلا يعرف أين يجده بين مئات الأصوات في الأبواب المختلفة ، و قد أدى هذا إلى أن الخطاب الأدبي الذي تجسده الحماسة قد أصبح خطاب جماعيا معبرا في تنويعات و تبديلات كثيرة عبر أصوات متعددة ، و هذا هو الشيء الذي وجدناه في مصنفات الحديث .

ومن بين الشعراء المقلّين المذكورين في الحماسة يذكر "كلاين فرانك" : جعفر بن علبة الحارثي عديل بن الفرخ العجلي ، المقنع الكندي ، خنزر بن أرقم ، ومرة بن محكان .

كما يلاحظ أيضا "كلاين فرانك" أنه "نادرا ما نقع في الحماسة على اسم شاعر مشهور، فنجد "اللبيد" على سبيل المثال بيتين فقط (رقم 336)، ولجبرير ثلاثة أبيات رقم (398)، ولحسان بن ثابت كذلك ثلاثة أبيات (رقم 743)، أما امرؤ القيس والأخطل والحطيئة وشعراء معروفون آخرون فممثلون في الحماسة من خلال بيت واحد لكل منهم"¹.

وحسب المرزوقي فإن العامل الحاسم في اختيار أبي تمام للحماسة والتصرف فيها هو ذوق الشاعر الجامع وليس صحة نسبة النص ولا قيمة الشعراء المشهورين أو المعروفين .

¹ سوزان بينكنستيتكيفيتش، الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، ص370.

ومنه فإن المرزوقي يقول بأن حماسة أبي تمام حازت الشهرة بين الناس و الثقة بين النقاد لأنها تجسد عمود الشعر، وفي عبارة أخرى تعد الحماسة تعبيراً عن الإجماع الأدبي للعرب، بينما كان ديوان أبي تمام يعج بشغف شخصي و أوهام شعرية جاوزت حدود عمود الشعر .

كما قد نرى في الحماسة من ناحية أخرى أنها "المرآة أو الوجه الآخر للديوان، ذلك أن شعر أبي تمام يتميز بتطبيق الإستعاري للماضي على الحاضر ،أما الحماسة فتتميز بتطبيق الحاضر على الماضي"¹.

أي أن الديوان يسعى إلى إدماج الماضي في الحاضر، أما الحماسة على العكس من ذلك فهي إدماج الحاضر في الماضي.

ومن الطرق التي استخدم بها أبو تمام الحماسة هي طرق أكثر حداثة، بحيث قام بترجيح الشعراء المحدثين من الحقبين الأموية و العباسية على الشعراء السابقين عليهم .

"إن التوزيع التاريخي للشعراء في الحماسة في مقابل المفضليات والأصمعيات يميل في اتجاه المحدثين ، منهم 285 شاعرا .

هناك 90 شاعرا جاهليا لهم 132 قصيدة، و 48 شاعرا مخضرمًا لهم 70 قصيدة، و 14 شاعرا إسلاميا 248 قصيدة"².

¹ سوزان بينكنستيتكيفيتش، الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، ص375.

² المرجع نفسه، ص376.

فمهما كانت الحقيقة الإحصائية و التاريخية إلا أن الحماسة تتظاهر تظاهرا مقصودا بأن كفة الشعراء القدماء فيها أرجح مما هي عليه حقا .

ويرجع هذا الانطباع إلى عدة عوامل : الحماسة غير مرتبة ترتيبا تاريخيا فعلى الأغلب ليس المتلقي على وعي بالحقبة الزمنية التي ينتمي إليها الشاعر الذي يقرأه و يشهد هذا الغموض باختيار أبي تمام كثيرا من الشعراء الأغفال و مخمولي الذكر .

ونتيجة ذلك فإن القارئ لا يشعر بأي اختلاف تاريخي أو تطور في الشعر، وإنما يشعر من هذا الخلط بين الاختيارات القصيرة للشعراء من حقب مختلفة بتراث شعري متنوع تنوعا هائلا، إلا إنه من الناحية التاريخية عبارة عن نسيج متماسك غير متمايز بعضها عن بعض وبطبيعة الحال فإن الشاعر الجامع لا يحجم عن طمس اسم شاعر ما، أو نحل غيره لإنجاز النتيجة المطلوبة.

ومن هنا فإن ثقافة أبي تمام و شمائله و اكتمال شاعريته درعا في وجه الذين يهاجمونه ودرية ضد الذين يخمزونه في نبيه ، إن أبا تمام يحصل المعرفة في كل مكان مع صفة الترف وحسن الأخلاق و كرم النفس و المحافظة على زي الأعراب ، كما يجعل أبو تمام من الحياة مدرسة ، ومن كتب الأقدمين مدرسة أخرى بحيث يأخذ من الأولى بأسباب التجربة ومن الثانية بما يصقل شخصيته وملكته الشعرية وأصبح رواية للقديم من الأشعار والطريق من الأخبار فهو بحكم ثقافته الواسعة يرى أن رباط الثقافة في جوهره، ربما فاق رباط القبيلة والأسرة، إن أحد من الذين مدحهم أو كان على صلة بهم لم ينكر نسبته في طيئ

وأولهم المعتصم نفسه، فلقد علق المعتصم على ضعفه العربي على شعر أبي تمام موجهًا خطابه إلى القاضي ابن أبي دؤاد قائلاً : الطائي بالبصر بين أشبه منه بالشاميين¹.

فثقافة أبي تمام إذن أدبية تاريخية حكمية فلسفية مع رصيد ضخم من جيد الشعر اختزنه في حافظته ثم فاض ذلك كله من عقله أكثر مما فاض من قلبه فكان ذلك الشعر الذي خرج من رأسه إلى السماء حسب تعبير أستاذنا أحمد أمين ، وإلى جانب هذه الشخصية الفكرية الأدبية السوية "كان لأبي تمام بديهية حاضرة ونكاء مفرط فقد قال له أبو سعيد الضرير بعد أن سمعه ينشد إحدى قصائده التي جنح فيها إلى الإغراب : يا أبا تمام ، لما لا تقول من الشعر ما يعرف ؟ فأجابه على الفور : و أنت لما لا تعرف من الشعر ما يقال؟"². هذا هو أبو تمام ثقافة وعلمًا ونباهة ورفعة مكانة عند جمهرة خاصة، وهو عالم متبحر في شؤون الثقافة وفروع المعرفة، ومن ثم فقد كان أول من أبدع صيغة شعرية في وصف القلم.

ذلك أن أبا تمام شاعر عالم ، و شعره يصدر عن عقله حسبما ذكرنا فيما مضى من صفحات، والقلم هو ترجمان العقل ومسجل خطرات الفكر ، وهو باني الملك و ثال العروش، إنه خطير الشأن في كل حالاته ، ولذلك فإن أبا تمام يقول فيه كشاعر عالم مثقف، ووصف القلم هنا جاء مرتبطًا بمن يحسن إمساك القلم محمد بن عبد الملك الزيات:

تصاب من الأمر الكلي و المفاصل

لك القلم الأعلى الذي بشابته

¹ مصطفى الشكعة ، الشعر و الشعراء في العصر العباسي ، ص 232.

² نفس المرجع ، ص 638.

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه

وأروي الجنى اشتارته أيدعو اسل

له ريقة ظل و لكن وقعها

بآثاره في الشرق و الغرب وابل"¹.

¹ مصطفى الشكعة ، الشعر و الشعراء في العصر العباسي ،ص654.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: البعد الملحمي في ديوان "أطلس المعجزات"

(1) البطولة

(2) الطابع القصصي

(3) وحدة الموضوع

(4) الموضوعية

(5) المزج بين القوى البشرية و الاعجازية

يعد صالح خرفي من الذين سخر قلمه طوال حياته من أجل أن يتوهج الحرف العربي في هذا القطر العربي، كما يمكن أن نلاحظ أن دراساته تتمحور لجنس الشعر، وذلك لأن الرجل كان شاعرا قبل كل شيء "وقد يمكن الحكم بأن كل كتاباته الأكاديمية تعد من مصادر الدراسة في الأدب الجزائري الحديث ، وذلك لأوليتها وأهميتها معا"¹.

ويعتبر ديوان "أطلس المعجزات" محاولة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر، والتركيز على أهم المحطات التاريخية قصد إجلال أهم دلالاته ، إذ لا تخلو قصيدة في هذا الديوان من ذكر المكان رمز الجزائر، وجزئياتها الجغرافية التي طغى عليها رمز الأطلس، وهو عنوان مكان للثورة التحريرية الجزائرية الكبرى، وثمة أمكنة أخرى تتعدد لتنتشر في ثنايا الديوان تشد المتلقي إلى عملاق مكاني في هذا الوطن العزيز.

وهذا ما جعلنا نهتم اهتماما كبيرا بديوان "أطلس المعجزات" لدراسته و معرفة إن كان يحمل بعدا ملحما في شعره؟.

1)البطولة:

تعتبر البطولة من أهم عناصر الملحمة، وذلك لما تحمله من صفات الخير كالنجدة، والشجاعة والقيام بالحروب، فلا تقتصر البطولة على طبقة النبلاء فقط بل تتسرب إلى الطبقات الدنيا من المجتمع، كالتغني بأمجاد الشعب وبطولاتهم في ميادين الحروب والمعارك. فنجد أبطال اليونان هم أخيل واوديسيوس ، وبطل الرومان هو اينياس

¹ عبد المكرم تاض، معجم الشعراء الجزائريين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص385.

،وأبطال العرب عنتره و عمرو ابن كلثوم وغيرهم ، أما عند صالح خرفي فمن هم الأبطال ياترى؟.

إن البطولة في ديوان أطلس المعجزات تختلف عن بطولة اليونان و الرومان و العرب فصالح خرفي يذكر لنا مجموعة من الأشخاص صنعت التاريخ في ديوانه فيقول:

وإذا اشأبت للعلا أعناق شعب لن تذل أبيها الأمراس

وإذا ما سمعت صدى الزغاريد اعلى من نسوة أكبادهن تداس

أو ما سمعت بيوم(عين عبيد)و الأبطال صرعى مالها أرماس¹.

"كان و لا يزال الأوراس رمزا ساحرا يأسر الشعراء، و يسكن أشعارهم في هذا الزمن العربي العصب، فهو الوشم الخالد في الذاكرة الثورية العربية والإسلامية والإنسانية ، هو شهادة ميلاد الثورة المعجزة ، ومسقط رصاصها وكعبة الثوار الميامين على امتداد الأزمنة، واختلاف الأمكنة ، مرادف الوطن الصامد المكافح ، ومعادله الفني الذي حوله من مجرد حصن جبلي منيع إلى فضاء جمالي أسطوري ممتع..."².

و هذا ما نجده في قصيدة "الأوراس" لصالح خرفي ، كل شيء يحيل فيها إلى السمو و العلا و تتكون من ثلاثة و ثلاثين بيت ، فنجد كلمة الأوراس مبتدأ القصيدة و منهاها ، فهو لا يرد

¹صالح خرفي، أطلس المعجزات، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص12.

²يوسف و غليسي، سيميائية الأوراس في القصيدة العربية المعاصرة، قسنطينة، ص1.

على امتداد ثلاثة و ثلاثين بيت سوى مرتين واحدة في البداية و أخرى في النهاية ، أي في
موضعي البراعة الشعرية ، براعة المطلع و براعة الختام:

مجد البلاد تشيده (أوراس) والنار في نهج العلاء نبراس

لهو المقدر أن يكون اليوم أمرك في الحياة مصيره(أوراس)¹

ومنه نجد صالح خرفي يتحدث في هذه القصيدة عن بطولات شعب الأوراس التي قام بها كل
من الرجال و النساء معا، مما يستشهد بعين عبيد وهي قرية قرب قسنطينة ، وقعت فيها
معارك ذهبت مضرب الأمثال في البطولة ، فالشاعر هنا يريد أن يقول أن كل أفراد شعب
الأوراس ، يتسمون بالبطولة وذلك بشجاعتهم وجهادهم.

ويقول أيضا في قصيدة صرخة الأحرار:

اي (مولى*) استقل، وتنح عنا فإن السيف أصدق منك قولا

دع الرشاش يفصلها فانا وجدنا منطق الرشاش فصلا

و تلك سيوفنا صدت فثرنا نروم لها على الأعناق صقلا

¹صالح خرفي ، أطلس المعجزات ، ص11و15.

*تولى رئاسة الوزارة الفرنسية ، فزار الجزائر في 6فيفري 1956 متشدقا بالمبادئ الاشتراكية التي يعتنقها حزبه، و لكنه
عادمن الجزائر بوقا للمغمرين بعد أن هددوه و استقبلوه أسوأ استقبال .

زمان القول يا (مولى) تولى

ولا تنجح لتزويق الأمانى

لمى نار به الأعداء تصلى

إلا أن الجزائر أنجبتنا

وعلمنا الأنا ألا ندلا

ألا إن العروبة علمتنا

نفارقها اذا لم نحظ نيلا

تسلقنا الجبال فهل ترانا

نفارقها و نرضى عيش ذلا

تسلقنا الجبال فهل ترانا

لعيش الذل في الحنات أهلا

نعيش بعزة فيها و لسنا

عشقنا أرضها حزنا و سهلا¹.

دعونا نسكن الغابات أنا

إن الشاعر في هذه الأبيات يخاطب مولى، و يطلب منه الاستقالة و التتحي جانبا لأن الشعب قد تاروصعد إلى الجبال ليقوم بالثورة ، فالشعب لا يرضى عيشة الذل والاحتقار، كما أن القصيدة نموذج شعري مكاني يذكر الكون الفسيح متخذا الوطن تربة لا بديل لها متغنيا بالعلاقة المتجذرة بين الإنسان وأرضه ، ومن هنا فإن صفة البطولة تتجلى في ثوران الشعب وصعوده إلى الجبال للقيام بالثورة ، وإخراج العدو من أرضه.

كما يقول واصفا الأحياء الجزائرية:

فبات المرء و المأوى رمادا

" فحي (القصبة) التهمته نار

¹صالح خرفي ، أطلس المعجزات ، ص 26 و 27.

فصيرها العدو لهم قبورا

فكانت دارهم دنيا معادا

وكم من أسرة في (الحي) باتت

تسامت ألفة و صفت و دادا"¹.

"وكان (الحي) حيا ثم أمسى

كأن لم يأو في الدنيا عباد"².

"فتلك (القصبة) المصلاة نارا

فزادت نار ثورتنا اتقادا

فهل جبروتها أطفا لهيبها

وهل بلغوا بقسوتهم مرادا"³.

تدل هذه الأبيات على أن أحياء الجزائر صارت مصرعا للحروب والدمار، وأفضل مثال على هذا الدمار والخراب هو حي القصبة الذي شهد ثورة كبيرة ، وهذا ما يجعلنا نعتبر أن الأحياء والقرى والمدامر عند صالح خرفي تعتبر أماكن بطولية لما احتضنته من معارك جعلتها تدخل ضمن الأعمال البطولية.

و يقول أيضا في الأبطال المدنيين :

ثائر لم يعد رهين جبال

بل حذاه إلى العواصم بأس

أنه ،الظل ليس يخلص منه

أيما كان ، أجنبي أخس

¹صالح خرفي ، أطلس المعجزات ، ص 39.

²نفس المرجع، ص40.

³المرجع السابق، ص41.

س ، والأذن بالخطى لا تحس

شبح لم تقع عليه عيون النا

هو في مسرح البطولة جن و هو في عالم الحقيقة انس

قد رفعتم بنى الجزائر بندا فاحذروا أن يلاحق البند نكس

م و أدت مهمة القصد قوس¹.

وأصابت سهامكم مقتل الخص

فالمدينين أيضا قاموا بأعمال بطولية تتجلى في المكائد التي يضعونها للمستعمر في خفاء، مما جعلهم في مسرح البطولة يظهرون على شكل جن، وهم في الحقيقة أناس عاديين، فهو يعتبر نموذج للإنسان الجزائري الشجاع الذي لا يهاب الموت.

و يقول في قصيدة "النار هي الحكم":

ص الثائرين ، إذا تهاطل كالديم

واللغز ليس يحله إلا رصا

في النار، في الرشاش، في ذلك القمم

حرية الأوطان يا عشاقها

النار في قمم الجبال هي الحكم².

لا تطلبو حكما لها في مجلس

ويقصد هنا بأن النار والرصاص هو الذي يحكم في قمم الجبال أي أن الرصاص هو وسيلة بطولية يعتمد عليها الثوار في تقرير مصيرهم، فهي دعوة جريئة إلى استمرارية الثورة فإما النصر والاستقلال التام، وإما الموت والاستشهاد في سبيل الوطن الغالي.

¹صالح خرفي، أطلس المعجزات، ص58.

²المرجع نفسه، ص61.

ويقول في جهاد المرأة قصيدة "استريحي يا جميلة":

"وجد الجيران في آهاتك الحيري دليله

حية أنت فدية الشعب، فافديه قتيلة

صرخة منك على مشنقة الظلم النذيله

سوف تنهى صرخات الطفل تنسيه عويله"¹.

في هذه الأبيات يقصد الشاعر بجميلة كل امرأة جزائرية كافحت وناضلت إلى جانب الرجل من أجل نيل الحرية، وذلك إما بصعودها إلى الجبال لتداوي الجرحى أو بمكوئها في البيت لتحضيرها الطعام. فجميلة هنا بطلة عند الشعب الجزائري، وتمثل البطولة بأسمى معانيها، فهي الإنسانية الشجاعة التي لا تهاب الموت فجاهدت واستشهدت في سبيل وطنها.

وفي قصيدة الصاعدون:

"فارفع نداءك للسمما

أحرارنا في الأطلس

أهلا و سهلا بالجيش الصاعده

¹ صالح خرفي، أطلس المعجزات، ص 89 و90.

للمنصر تهفو للأمانى الخالدة"¹

"يرعاهم رب الوجود"².

"والصاعدون إلى الجبال

عادوا إلينا بالفخار

ذهبت بهم نوب الليال

فردهم نور النهار"³.

تتميز هذه القصيدة بتعليل عمل المجاهدين والتحاقهم بساحات الحرب والنار، وفيها يبين حقيقة التأثير الجزائري الذي لا يخاف الحروب، ولا يهاب الموت لكونه صاحب حق فهو التأثير المناشد للحق و الكرامة.

(2) الطابع القصصي:

إن الأساس في الشعر الملحمي أن يكون قصصيا أي يسرد حادثة أو سلسلة حوادث، باستخدام تشبيهات و محسنات لفظية، و أوصاف تساعد على توضيح الفكرة و تعميقها، فكل هذه المواصفات التي ذكرناها أدرجها صالح خرفي في هذا الديوان في وصفه للثورة و أبطالها بتصوير بسيط. كقوله:

¹صالح خرفي، أطلس المعجزات،ص200.

²نفس المرجع،ص201.

³المرجع السابق،ص202.

أن غادروا ثكناتهم صوب الجبال

فمالهم يوما إليها مرجع¹.

"يتسابقون إلى الوغى ، أرواحهم

فوق الأكف إلى الردى تتطلع

وبناتها مثل اللبوءات اندفا

عا، مالهن عن الكفاح ترفع

ويمنن مثل عرائس بين الرصا

ص و دد بالخراطش صدرهن مرصع².

(3) وحدة الموضوع:

في الملاحم الكبرى يوجد حدث ملحمي واحد يدور حول حادثة واحدة قائمة بذاتها، لها بداية ووسط ونهاية فهذا الأمر لم يتجسد في ديوان "أطلس المعجزات" فوحدة الموضوع منعقدة تماما فيه، لأنه يسرد مجموعة حوادث متنوعة و متعددة ، لا يلتقيان إلا في الفترة الزمنية مثل ابتداء ديوانه بقصيدة الأوراس ، ثم انتقل إلى الحديث عن مأساة تبسة، و هكذا تتعدد الموضوعات فيه، كما نجد أيضا تنوع في الأمكنة فهناك قيل في تونس ، القاهرة، دمشق ، الكويت ، وكذلك نجد تنوع في الزمان: 1957،1966،1965، 1958، و في الإنسان : الصاعدون، المرأة، الخفافيش.....الخ وهذا راجع إلى أنه لم يركز على وضع قصة بطولية تكون لها بداية، و وسط و نهاية، وإنما كان يهدف إلى تصوير الواقع الجزائري.

¹صالح خرفي، أطلس المعجزات،ص74.

²المرجع نفسه،ص75.

4)الموضوعية:

هي أحد الركائز الأساسية للملاحم، فهي تقوم على عدم إدخال ذاتية الشاعر مثل هوميروس فهو لم يدخل ذاتيته إنما ترك الحدث للشخصيات تحكيه من خلال أفعالها و تصرفاتها ، لكن صالح خرفي أدخل ذاتيته في بعض قصائد هذا الديوان مثل قصيدة "سلاحنا و سلاحهم" ، كما أدخل ذاتيته أيضا في وصف الشخصيات ، و ذلك متحدئا بلسان الجماعة كأنه حاضر في تلك الفترة التي يصفها.

مثل قوله:

فدوى الوقع في سمع الوجود

ورتلنا البطولة في نشيد

فخطت آية بدم الشهيد"¹.

وجئنا باليراعة من ضبانا

فكان الشعب أقوى من حديد

"ملأت الأرض و الأجوا حديدا

سلى خواضها (ابن الوليد)"².

فنحن بنو المعامع من قديم

5) المزج بين القوى البشرية و الاعجازية أو الفائقة للطبيعة:

فصالح خرفي لم يمزج بينهما فقد ركز على الكائنات البشرية،ولم يتطرق إلى الكائنات غير البشرية و الأرباب و الآلهة ، فهو يصف الشعب الجزائري و بطولاته فقط.

¹صالح خرفين أطلس المعجزات،ص65.

²المرجع نفسه،ص66.

كقوله:

"عشرات الألوف قدمها الشع ب ضحايا ، و اعز الضحايا

يا أخي لا يركك ياس فكم لل عد في صفحة الحروب خبايا"¹.

ونحن نتصفح صفحات ديوان "أطلس المعجزات" رأينا أن لفظ "الدم" قد طغى على قصائد

الديوان ، بدءا من القصيدة الأولى "الاوراس" إنتهاءا بقصيدة "أطلس المعجزات"

وفيه يتناول بشكل لافت لفظة "الدم" بإشارات ورموز تحيل إلى مجموعة من القيمو المعاني

والمثل، فترتبط تارة بالحرية والنضال ، وتارة أخرى بالعظمة والقداسة، كما يحيل أيضا إلى

الضحايا والذبح والمجازر ، كقوله في قصيدة "أطلس المعجزات":

" فجر الموت أنهرا من دماء وجرى بالزلزال نبع المجازر

شفة الود والصداقة ليست حمزة دنها دماء الجزائر"².

و في قصيدة أخرى:

"لا، لن تضيع دماؤنا أنا سنحو سو من دماء المعتدين عقارا"³.

¹صالح خرفين أطلس المعجزات،ص145.

²نفس المرجع،ص230و236.

³المرجع السابق، ص20.

ومن هذا فلا يخف على أي قارئ لأشعار صالح خرفي أن يلاحظ ظاهرة فريدة ومميزة لأشعاره ألا وهي ظاهرة الثورة و التحمس لها ، فقلما تخلو قصيدة من قصائد ديوانه أطلس المعجزات من هذه الظاهرة، فالمتصفح لهذا الديوان لا تغيب عنه هذه الحقيقة فهو كله ثورة وقصف ونار، ورمصاص ، من خلال عناوين القصائد التي يشتمل عليها الديوان مثل "صرخة جزائري" ، و"سلاحنا وسلاحهم"، "توفمبر"، "نداء الضمير"، فيتبادر إلى أذهاننا بعد الإطلاع على هذه القصائد أن هناك جماعة من الثوار في وسط معركة حامية ، وأن الاستعمار لم يعترف بحقوقهم ، وبالتالي فشاعرنا هذا يدعوهم إلى الاستشهاد في سبيل نيل الحرية و الاستقلال و الكرامة.

ونفس الشيء بالنسبة للعناوين التالية "مأساة تبسة"، "مأساة حي القصبة"، "الجزائر الثائرة"فكلها عناوين موحية بالثورة وما حدث فيها من عذاب ، وقتل ، و قهر ،وهناك الحرمات والتشريد.

وهذا ما جعل قريحة الشاعر تثور من تلك الظروف المزرية والمأساوية التي يعيش فيها شعبه، ولعل أجمل ما قاله في تصوير ذلك قوله هذا:

نفارقها و نرضى العيش ذلا؟

تسلقتنا الجبال فهل ترانا

لعيش الذل في الجنات أهلا

نعيش بعزة فيها و لسنا

ولا نرضى بوحش الأنس خلا

وتأنس نفسنا بالوحش فيها

سئمنا عيشة الفوضى فطرنا إلى قمم الجبال نجم عقلا¹.

وكما نجد في قصيدة "توفمبر" يتحدث عن الطفل البريء والشيخ المسن، الذين سحقتهم
قصفات وطلقات النار، فيقول:

والشيب خضب بالدماء، فما اختفى

بالعمر، صوح نبتة، أم أزهرًا؟

و الطفل يلفظ بالطوى انفاسفه

تدياه خيطا بالرصاص وما درى².

كما يمتدح ليلة "توفمبر" معتبرا إياها اللحم الذي تطلعت إليه الأجيال طويلا حتى كاد اليأس
من تحقيقه يتسرب إلى النفوس، و لكنه تفجر كما تفجرت عواطف الشعب في قوله:

"بايعت من بين الشهور (نمبرا)

و رفعت منه لصوت شعبي منبرا

شهر المواقف و البطولة ن قف بنا

في مسمع الدنيا و سجل للورى³.

¹صالح خرفي، أطلس المعجزات، ص27.

²نفس المرجع، ص171.

³المرجع نفسه، ص169.

فمهما كانت سياسة الاستعمار وفلسفته لينة كانت أو يابسة، فالشعب الجزائري لا ولن يتراجع عن مبدئه الثوري المقدس، وهو الاستقلال أو الموت، والاستشهاد في سبيل أرض الوطن. وبسبب تجاهل فرنسا المتجبرة للشعب الجزائري ولغته يرى شاعرنا و شعبه أن الشيء الوحيد الذي تفهمه فرنسا هي لغة المجالس و الاجتماعات مثل قوله في قصيدة "النار هي الحكم":

فرمته في أرجاء (جمعية الأمم)

لغز تناهت دون فحواه الهمم

ص الثائرين إذا تهاطل كديم

و اللغز ليس يحله إلا الرصا

في النار في الرشاش في تلك القمم

حرية الأوطان يا عشاقها

النار في قمم الجبال هي الحكم"¹.

لا تطلبوا حكما لها في مجلس

فالرصاص عند شاعرنا هو الحل الوحيد و الأساس و لما لا، و هو يحي و شعبه في زمن كثرت فيه الوعود و الأقوال و الخطب الرنانة المسجوعة لكن بدون جدوى.

وفي الأخير نستطيع القول أن ديوان "أطلس المعجزات" ليس ملحما لأنه يفتقر إلى عدة عناصر ملحمية ، كوحدة الموضوع ، والمزج بين القوى البشرية والاعجازية، وكذا الموضوعية، لأنه ركز على الإقناع والتأثير في السامع ، فهذا ما قصد إليه من خلال المعاني المطروحة في الديوان ، ولاسيما أنه عرف بمواقفه الثورية التي اعترف بها من

¹صالح خرفي، أطلس المعجزات، ص61.

خلال تصريحه أنه لم يتغنى بالفن و الصناعة الفنية و الشهرة الشعرية، بقدر ما كان هدفه التعبئة الثورية وإيصال صوتها للعالم ، والتأثير فيهم لفضح جرائم الاستعمار الفرنسي. وكان يهدف من خلال النبذة الخطابية التقريرية إلى إثارة الحماس، وإيقاض الضمائر، وإستنهاض الهمم وتسجيل أحداث الثورة التاريخية التي لم تعطيه الفرصة للجري وراء الفن لتتميق البلاغي، وقد بين ذلك في مقدمة ديوانه "أطلس المعجزات" بقوله" و كنت لا أستتف أن أجد نفسي غير مرة في موقف خطيب لا شاعر، ما دامت الثورة التي تلهمني و تجعلني كأني على صخرة من صخور الأطلس الشامخ أهيب بالثائرين الأحرار، و لم يكن في وسعنا أن نمر بالحادثة التاريخية البطولية مرا الكرام سعيا وراء الفن الأمثل.

و يؤكد بقوله في قصيدة "صرخة جزائري":

"سنة الكون أن أكون طليقا

أتخطى في الغرب دربا سحيقا

و من الشرق أستمد شروقا

إنها تربة تسمى الجزائر"¹.

و قوله أيضا :

لم أكن مرة بشاعر فخر

¹صالح خرفي أطلس المعجزات،ص101.

ولا إن كانت المنابر تغرى

غير أني و الله يعلم سرى

يبعث العز في عروقي و شعري"¹.

و لكن رغم ذلك فإن لديوان "أطلس المعجزات" بعدا ملحميا نظرا لما يحتويه من عناصر ملحمية أخرى كالتغني بأمجاد و بطولات الشعب الجزائري ، و تسجيل ماضيه و ما يحتويه من نزاعات و آمال و آلام .

¹صالح خرفي أطلس المعجزات،ص104.

الختامة

الخاتمة

وصلنا إلى نهاية المطاف في هذا البحث الذي حاولنا من خلاله اكتشاف البعد الملحمي عبر أجواء ديوان "أطلس المعجزات" لصالح خرفي، و ذلك من خلال إطلاعنا على ملاحم اليونان و العرب، و ما يميزها من خصائص ملحمية.

ومن نتائج هذا البحث:

(1) تعد الملحمة من أقدم الأنواع الشعرية وأعرّفها منذ أقدم العصور عند الأمم القديمة، و هي شعر تاريخ البطولات الأسطورية و الحربية عند الأمم لأن الشعوب البدائية عاشت في جو مسحور، و لا بد أن تكون الملحمة صدى في تاريخ أمة أو حياة شعب.

(2) الملحمة قصيدة قصصية طويلة تقوم بتصوير أعمال البطولة التي تصدر عن بطل رئيسي واحد مثل إلياذة هوميروس عند اليونان ، و إنياذة فرجيل عند الرومان ، وعند العرب نجد عنزة .

(3) تغيرت البطولة التي تصدر عن بطل رئيسي واحد في الملاحم اليونانية إلى بطولة جماعية عند صالح خرفي في ديوان "أطلس المعجزات"، فالبطل عنده هو الشعب الجزائري الذي صنع التاريخ بآمالهم و آلامهم و انتصاراتهم.

4) من أهم عناصر الملحمة نجد عنصر البطولة حيث أنها موجودة في كل الملاحم ، بينما العناصر الأخرى يمكن أن لا نجدها كالمزج بين القوى البشرية و القوى الاعجازية ، و هذا ما نجده عند صالح خرفي.

5) و من خصائص الملحمة مرور فترة زمنية طويلة بين وقوع أحداثها و نظمها، مثل هوميروس الذي نظم إلياذته بعد مرور قرون من وقوع أحداثها، و نفس الشيء عند صالح خرفي الذي نظم ديوانه عن ثورة الجزائر، و ذلك بعد الاستقلال و ليس في فترة الثورة.

6) الملاحم ثلاثة أنواع : دينية (أدبية) مثل الكوميديا الإلاهية لدانتي، و بطولية مثل الأوديسة، و الشعبية مثل سيرة عنتره.

7) في القديم الملاحم تظهر كأحداث عادية تعكس الواقع، و لكن بعد مرور فترة زمنية تبدو للأجيال بأنها أعمال أسطورية خارقة للعادة.

8) يعتبر عنصر التاريخ منبع الملاحم، و أفضل مثال على ذلك نجد صالح خرفي الذي رجع إلى تاريخ الجزائر، و منه نظم ديوانه هذا "أطلس المعجزات" الذي لا تخلو قصيدة منه عن سرد تاريخ الجزائر إبان الثورة التحريرية.

9) في ملاحم اليونان نجد خلط بين الحقيقة و الخيال بحيث يمزجون بين الآلهة و البشر، و اتخاذهم أنصاف الآلهة كأبطال خارقة للملاحم ، بينما عند صالح خرفي نجده لا يمزج بين الحقيقة و الخيال ، فالأبطال عنده أناس حقيقيين و عاديين .

10) إذا فقدت الملحمة ملحاً واحداً من ملامحها فلا تعتبر ملحمة، فهذا ما نجده عند صالح خرفي فهو يفتقر لبعض العناصر الملحمية كالمزج بين القوى البشرية و الإعجازية، والموضوعية لأنه أدخل ذاتيته في بعض قصائده.

وفي النهاية يمكننا أن نقول أن ديوان "أطلس المعجزات" لصالح خرفي لا يعتبر ديواناً ملحيمياً نظراً لعدم مراعاته لعناصر الملحمة بأكملها، و ذلك انطلاقاً من مفهوم أرسطو للملحمة الذي ينص على أنه إذا فقدت الملحمة عنصراً واحداً من عناصرها فلا تعتبر ملحمة.

ومنه فهذا الديوان يمتلك بعداً ملحيمياً أو يمكن القول بعض ملامح الملحمة فقط.

1) قائمة المصادر و المراجع

أ) المراجع

1) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن تحسين الزوزني ، شرح المعلقات العشر، مع

مقدمة لتاريخ و مكانة أصحاب المعلقات ، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،

لبنان.

2) أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ، ديوان الحماسة أبي

تمام حبيب بن أوس الطائي ، شرحه و علق عليه أحمد حسن بسج، دار الكتب

العلمية ،بيروت ،لبنان.

3) أحمد عثمان ، الشعر الإغريقي ، تراثا إنسانيا و عالميا ،المجلس الوطني للثقافة و

الفنون و الأدب ، الكويت .

4) أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، علق عليه

و كتب حواشيه غريد الشيخ ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين ، طبعة

الأولى ، 2003م-1424هـ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية .

5) حسين خمري ، الظاهرة الشعرية العربية ، الحضور و الغياب ، مطبعة إتحاد كتاب

العرب ، دمشق .

6) عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين ،دار هومة للطباعة

و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007.

(7) محمد صقر خفاجة ، تاريخ الأدب اليوناني ، بإشراف إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية و التعليم ،بمصر ، 1936.

(8) مصطفى الغلاييني، ، رجال المعلقات العشر، كتاب أدب و تاريخ ولغة ،المكتبة العصرية للطباعة و النشر، الدار النموذجية، صيد بيروت.

(9) يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، الجزء الأول صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،2007.

ب) المصادر

(1) صالح خرفي، ديوان أطلس المعجزات، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982.

(2) شرح ديوان عنتره، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، 2005.

2) قائمة المذكرات الجامعية

(1)منى ناوي، سامية ناوي ، سمات المجتمع في شعر عنتره بن شداد العبسي ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في اللغة و الأدب ، جامعة بجاية ، 2008-2009.

3) قائمة المجلات

(1)جميل صدقى الزهاوي ،ملحمة ثورة الجحيم ،العدد12، سنة 3.

(2) حمد يوسف الرومي، عالم الفكر، المجلد 16، العدد 1، الكويت، أبريل، مايو،
1980.

(3) سوزان بينكني ستيكفييتش، الشعر و الشعرية في العصر العباسي ، ترجمة حسن البنا
عز الدين ، الطبعة الأولى ، العدد 1210، المركز القومي للترجمة .

(4) معلقة عمرو بن كلثوم، "دراسة و تحليل" مختار سيدي الغوث، مجلة جامعة دمشق،
مجلد 22، العدد 1+2، 2006.

(5) مصطفى جطل ، الملاحم الشعبية أصالة الماضي و اعتزاز الحاضر و المستقبل.

(6) مصطفى الشكعة ، الشعر و الشعراء في العصر العباسي، الطبعة الأولى 1979 ، دار
العلم للملبيين، مؤسسة ثقافية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت لبنان.

(7) نعيم محمد عبد الغني، ملامح من صورة البطل في الأدبين العربي و التركي.

فهرس المحتويات

مقدمة.....ص أ - ب

- الفصل الأول: ماهية الملحمة

1 - تعريف الملحمة.....ص 7-8

2- أنواع الملاحم

1-2) الملحمة الدينية.....ص 8-9

2-2) الملحمة الشعبية.....ص 10

2-3) الملحمة البطولية.....ص 10-12

3- خصائص الملحمة

1-3) طابع البطولة.....ص 13-14

2-3) التنوع الهائل و التشعب في الموضوعاتص 14

3-3) وحدة الموضوع.....ص 14-16

3-4) الطابع القصصي.....ص 16-17

3-5) المزج بين القوى البشرية و القوى الاعجازية.....ص 17-18

3-6) الملاحم نوع من الشعر اللاشخصيص18-19

3-7) التصوير البسيط.....ص19-20

4-) تاريخ الملحمة.....ص21-23

4-1) تاريخ الملحمة عند اليونان.....ص23-29

الفصل الثاني: الشعر البطولي

- الشعر البطولي.....ص30-31

1) سيرة عنترهص31-36

2) عمرو بن كلثوم.....ص36-39

2-1) خصائص الملحمة.....ص40-41

3) ديوان الحماسةص42-44

3-1) الحماسة و مفهومها.....ص44

3-1-1) نشأة ديوان الحماسة.....ص44-45

3-1-2) مفهوم الحماسة.....ص46

3-1-3) الحماسة و الإجماع الأدبي.....ص47-53

الفصل الثالث: البعد الملحمي في ديوان "أطلس المعجزات"

- (1) البطولة.....ص 54-61
- (2) الطابع القصصي ص 61-62
- (3) وحدة الموضوع.....ص 62
- (4) الموضوعية.....ص 63
- (5) المزج بين القوى البشرية و الاعجازية أو الفائقة للطبيعة.....ص 63-69
- الخاتمة.....ص 70-72
- قائمة المصادر و المراجع.....ص 73-75
- فهرس المحتويات.....ص 76-78